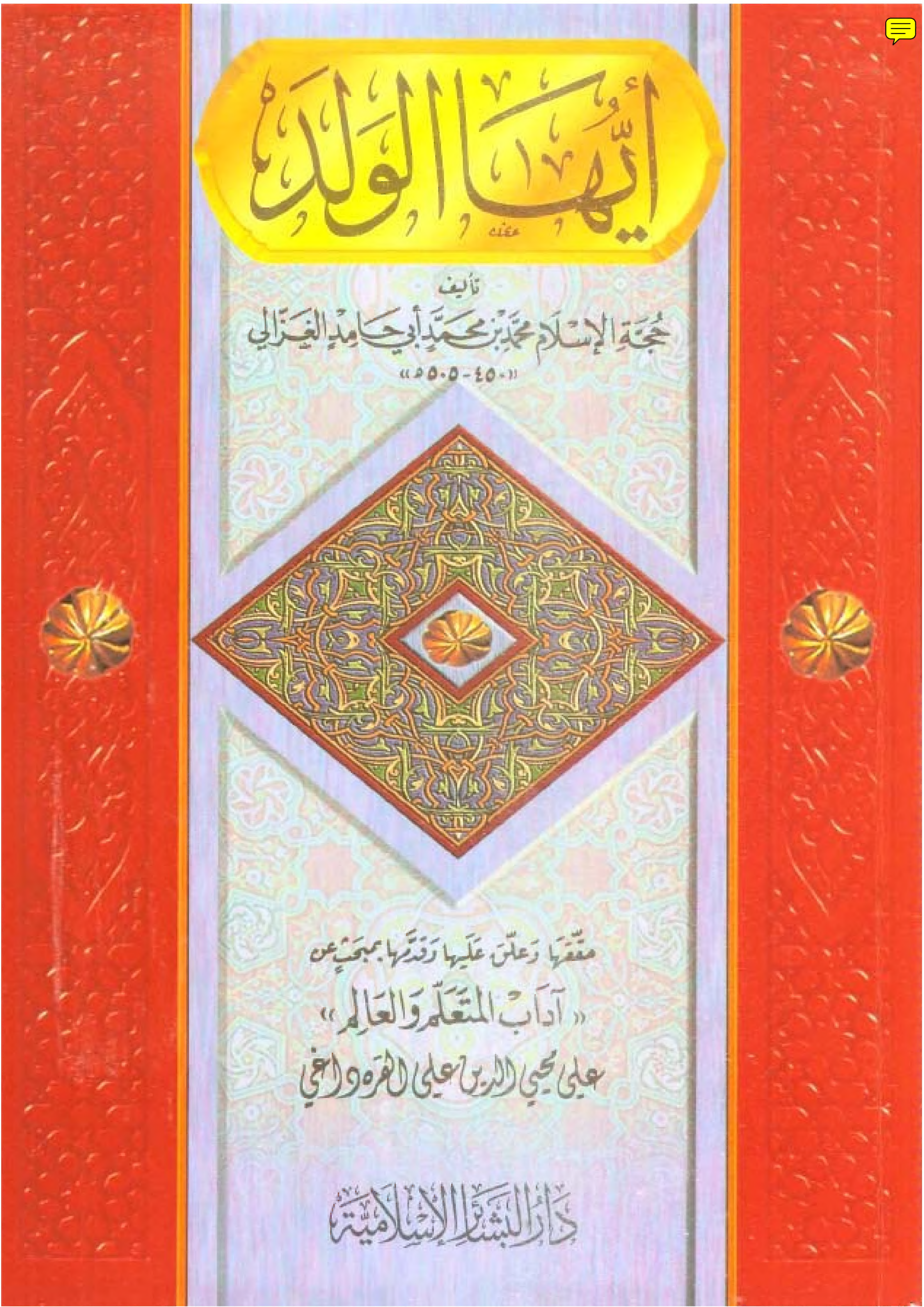

أيها الولد
تأليف
حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي
«٤٥٠-٥٠٥هـ»
حققها وعلق عليها وقدم لها ببحث عن
«آداب المتعلم والعالم»
علي محيي الدين علي القره داغي
دار البشائر الإسلامية

أيها الولد

الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ
١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

شركة دار البشائر الإسلاميّة
لِلطّباعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتّوزِيْعِ ش . م . م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
e-mail: bashaer@cyberia.net.lb



تأليف

حُجّة الإسلام محمّد بن محمّد أبي حامد الغزّالي

«٤٥٠ - ٥٠٥ هـ»

حقّقها وعلّق عليها وقدّمها بمبحث عن

« آداب المتعلّم والعالم »

علي محيي الدين علي القره داغي

دار البشائر الإسلامية

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فتحتل قضية التربية والتعليم مكاناً بارزاً في حياة جميع الأمم، وتأخذ نصيب الأسد في جهود المصلحين، لما لها من آثار إيجابية أو سلبية مباشرة على الأمة، ونتائج خطيرة على مختلف المستويات الفكرية والسياسية والحضارية، ولهذا أولَوْها كامل عنايتهم. غير أن الأفكار البشرية ـ بحكم طبيعتها ـ اختلفت من كيفية علاج هذه القضية، ونوعيته، وتنوعت في اعتبار ما هو الأنفع والأجدى، وبعدت الشقّة والمسافة بينها حتى لم يلتق بعضها ببعض. حيث اتجهت بعضها نحو الطرق التربوية التي تعتني بالناحية المادية والعلمية فقط، في حين كان الاتجاه الثاني نحو الخوض في الجانب الروحي بل التطرّف فيه. فجاء الإسلام فربط بين العقيدة والعلم رباطاً وثيقاً، ومزج بين تربية الروح وتربية الجسد مزجاً لا انفصام لإحداهما عن الأخرى ﴿ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ ﴾ (سورة فاطر: ٢٨).

فهذه الرسالة هي محاولة من الإمام الغزالي رحمه الله لتوضيح هذه الفكرة الأصلية في الإسلام والتي عُني بها سلفنا الصالح رحمهم الله. ولذلك نالت إعجاب القرّاء الكرام بشكل نفدت بضع آلاف من نسخها

خلال شهور معدوده، فاضطررنا إلى إعادة طبعها ليعمّ نفعها. فقامت دار البشائر الإسلامية بهذه الطبعة التي تمتاز بالتنقيح والتنسيق.

والله نسأل أن يوفِّقنا لخدمة الإسلام وعلومه إنه على ما يشاء قدير، وهو حسبنا ونِعمَ الوكيل.

المحقِّق

علي محيي الدين علي القره داغي

٦ جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ

٢٧/ ١/ ١٩٨٥ م.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه إلى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

وبعد؛

فإن تراث علمائنا الكرام غنيٌّ بمختلف العلوم والنظريات، وإن كنوزهم التي تركوها لنا لو فتحت واستخدمت استخداماً جيداً لأغنتنا عن كل ما هو دخيل في ثقافتنا وحضارتنا، فلقد أفنوا أعمارهم المباركة في خدمة العلم فاجتهدوا وابتكروا الكثير، وتفننوا في شتى مجالات الحياة.

ولصلتهم القوية بالله تعالى وفكرهم الصافي وقلوبهم النيِّرة، وبصيرتهم النافذة هداهم الله تعالى إلى كثير مما يعود بالنفع العظيم والفائدة العامة على البشرية جمعاء. فقد نشروا ألوية العلم في شتى أرجاء العالم وكان لهم قصب السبق في طرق التربية والتعليم، وفي الاقتصاد والاجتماع، وفي المنهج العلمي في التفكير، وكذلك في علوم الطبيعة والفلك والرياضيات والطب والتشريح، حتى في التفكير في الطيران وغيرها.

وقد اعترف المنصفون بأن المسلمين قد سبقوا غيرهم في كثير من العلوم. فهم أول من أسسوا قواعد الكيمياء الحديثة، واخترعوا طرق البحث

الكيميائي، ووصفوا عمليات التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتذويب. كما اكتشفوا كثيراً من المستحضرات الكيميائية الهامة مثل ماء الفضة والكحول وحامض الكبريتيك، وكانوا أول من استخدم المواد الكيماوية في الأدوية، والزئبق في المراهم، كما استخدموا حيوانات لإجراء التجارب عليها لأول مرة. وقد ترجمت معظم مراجع ومؤلفات علماء المسلمين في الكيمياء والصيدلة وغيرهما إلى اللغات الأجنبية وأهمها «سر الأسرار» لأبي بكر الرازي حيث تُرجم واشتهر في الغرب، ويضم علم العقاقير ومعرفة الآلات العلمية المستخدمة، وكذلك مؤلفات الفارابي وأبي القاسم العراقي وجابر بن حيان(١) والغزالي وغيرهم.

ولا غرو في كل ذلك بل ولا عجب إذا تأملت أن أول آية نزلت على رسول الله ﷺ تحمل في طياتها الأمر بالقراءة والعلم، وبين ثناياها الإشارة إلى الكتابة بالقلم وإلى علم الأجنة: ﴿ إقْرَأْ باسْم ربِّكَ الذي خَلَق * خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * إقْرأ وَرَبُّك الأَكْرَم * الذي عَلَّمَ بالقَلَم * عَلَّمَ الإنْسَانَ ما لم يعلم ﴾(٢).

ثم تنزل الآيات وتبين لنا بأن الذي يخشى من الله حق خشيته هم العلماء: ﴿ إنما يخشى اللَّهَ من عباده العلماءُ﴾(٣).

وتنزل الآيات على رسول الله ﷺ فتبين منزلة العلم والعلماء وتقص علينا قصة يقف المسلم أمام عظمتها كثيراً، ألاَ وهي قصة سجود الملائكة

---

(١) جاء ذلك في البحث الذي قدمه الأستاذ الدكتور محمد الذهبي حول جذور الكيمياء في الحضارة الإسلامية إلى المؤتمر العلمي التاسع والعشرين للجمعية المصرية للكيمياء الإكلينيكية في مقر جامعة الأزهر في ١٩٨٣/٥/٥، ونشرت مقتطفاته الأهرام في ١٩٨٣/٥/١٠.

(٢) سورة العلق: الآية ١ ـ ٥.

(٣) سورة فاطر: الآية ٢٨.

الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لأبينا آدم الذي عصى ربه ثم تاب وهدى لكنه كان عالماً بالأسماء كلها فاستحق السجود والاستخلاف بالعلم قال تعالى:

﴿وعَلَّمَ آدمَ الأسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرضَهُم عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أنبِئُونِي بأَسمَاءِ هَؤلَاءِ إنْ كُنتُم صَادِقِينَ * قالوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لنا إلَّا مَا عَلَّمتَنا إنَّكَ أنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * قَال يا آدمُ أنبِئْهُم بأَسمَائِهم فلمَّا أَنْبَأَهُم بأَسمَائِهم قَال أَلَمْ أَقُلْ لَكُم إنِّي أَعلَمُ غَيبَ السَّمٰواتِ والأَرضِ وأَعلَمُ ما تُبْدُونَ وما كُنتُم تَكتُمُونَ * وإذْ قُلنَا للمَلائِكَةِ اسجُدُوا لآدمَ فَسَجَدُوا إلّا إبلِيسَ أَبى واستَكْبَرَ وكانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾[١].

ثم إن القرآن الكريم وضع نصب عيني العلماء أن العلم لا يعرف الوقوف عند حد، وأنه درجات، وأنه مهما بلغ إليه الإنسان فإنه يحتاج إلى المزيد: ﴿ نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ﴾[٢].

وإن النبي الكريم ﷺ قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٣]. كما بيَّن فضل العلم وأهله ويكفي للاستشهاد ـ لا على سبيل الحصر والتعداد ـ قوله ﷺ: «لفقيهٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[٤]. وأعلن ﷺ أنَّ العلم للجميع حين قال: «العلم لا يحلُّ منعه»[٥].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣١ ـ ٣٤.

(٢) سورة يوسف: الآية ٧٦.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه [٨١/١] في المقدمة.

(٤) الحديث رواه الترمذي وابن ماجه بسندهما عن ابن عباس مرفوعاً.
انظر: سنن الترمذي مع تحفة الأحوذي، كتاب الإيمان [٤٥٠/٧]؛ وسنن ابن ماجه، المقدمة [٨١/١].

(٥) رواه الديلمي بسنده عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه القضاعي بسنده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّ شيء لا يحل منعه؟» فقال بعضهم: الملح، وقال آخر: النار، فلما أعياهم قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك العلم لا يحل منعه». =

ومن هذا المنطلق انطلق المسلمون فخدموا العلوم، وحطموا الأفكار السائدة لدى غيرهم بأن العلم شيء يتنافى مع الدين. فبينوا بأن العلم الذي هو هبة من الله تعالى كيف يكون ضد الدين الذي جعله الله تعالى طريقاً للوصول إليه!. . . إنْ هذا إلّا تفكير سقيم لا يرضى به عاقل سويّ. فقد قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: (ظن من ظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية، وأن الجمع بينهما غير ممكن ظَنٌ صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه)[١].

ويقول الغزالي: إنّه لا بد من فهم ومعرفة علوم الحساب والهندسة وهيئة العالم، والعلوم التي تتعلق بالكواكب والأجسام المفردة كالماء والهواء، والأجسام المركبة كالحيوان والمعادن وأسباب تغيرها[٢]. بل جعل علماء الإسلام كل علم تحتاج إليه الأمة حاجة عامة كالطب والصناعة والزراعة. . . من فروض الكفاية استناداً إلى آيات وأحاديث تدل على ذلك[٣].

فإذا عرفنا هذا فإن علماء الإسلام حينما قاموا بنشر العلوم وخدمتها والابتكار فيها، وما تركوا لنا من هذه الكنوز الضخمة التي لم تتوفر لأية أمة على وجه الأرض[٤]. فإن الدافع الأساسي الذي حركهم، والمحرك الفعّال

= انظر: المقاصد الحسنة، ط. مكتبة الخانجي سنة ١٣٧٥هـ، ص [٢٨٨]؛ وكشف الخفا ومزيل الألباس، ط. مكتبة التراث ودار التراث، [٢/ ٨٧].

(١) إحياء علوم الدين، ط. عيسى البابي الحلبي [١/ ٢٩]؛ وراجع القسم الدراسي للوسيط للإمام الغزالي بتحقيق علي القره داغي، ط. دار الاعتصام [١/ ١٧٠ ـ ١٧٤].

(٢) المنقذ من الضلال، ص [١١٥ ـ ١٢٩].

(٣) إحياء علوم الدين [١/ ٢٢ ـ ٣٢].

(٤) وقد ذكر المطلعون على المخطوطات الإسلامية: إن الكتب الخطية التي كتبت باللغة العربية تبلغ ثلاثة ملايين مخطوطة، وهذه عدا الكتب التي أحرقها المغول أو =

الذي وراءهم هو هذا الدين الإسلامي العظيم بما يحمل من مبادىء وقيم، وشحذ الهمم والجمع بين حسنيي الدنيا والآخرة، وزينة الدنيا ونعيم الآخرة، وحكم الأرض ووراثة الجنة.

وإذا عدنا إلى هذه الرسالة التي نحن الآن بصدد تحقيقها ونشرها وهي رسالة «أيها الولد» فإنها ـ رغم صغر حجمها ـ تعبر عن هذا الفكر الإسلامي الأصيل وهو ربط العلم بالعقيدة والتقوى وجعل الأول خادماً للثاني. فهي تمثل فرعاً صغيراً من جدول عظيم من روافد فكرنا الإسلامي في التربية والتعليم والتزكية والتهذيب.

وهذه الرسالة قد طبعت أكثر من مرة، وأولى طبعاتها ـ على ما أظن ـ طبعة مطبعة كردستان العلمية لصاحبها المرحوم فرج الله زكي الكردي، سنة ١٣٢٨هـ على نفقة الشيخ محيـي الدين الكردي رحمه الله تعالى. وآخر طبعاتها هي طبعة دار الشروق بتحقيق الأستاذ عبد الله أحمد أبو زينة.

هذا وقد التمس مني من لم أجد سعة لمخالفته أن أقوم بتحقيق هذه الرسالة، فترددت كثيراً لسببين اثنين:

أولهما: إنشغالي بإعداد رسالتي في الدكتوراه، وبتحقيق كتاب الوسيط للإمام الغزالي الذي يعتبر من أهم الكتب الفقهية المقارنة من حيث المادة وجمال الأسلوب ووضوح المعنى...

وثانيهما: أنها قد طبعت أكثر من مرة ولا سيما أن طبعتها الأخيرة قد كتب عليها أنها طبعة محققة، غير أنني بمجرد إلقاء نظرة عليها زال اعتلالي الأخير حيث إنها لم تُخرَّج أحاديثها وآثارها، ولم تكتب بالهامش المقارنات

= دمرها خلال غزوهم للعالم الإسلامي وعدا الكتب التي أكلتها الأرضة والديدان نتيجة سوء التصرف أو عدم العناية.

راجع تفصيل ذلك: في القسم الدراسي لكتاب الغاية القصوى تحقيق علي القره داغي، ط. دار الإصلاح [١/ ١٠].

بين النسخ. ولما عارضتها بالنسخ التي حصلت عليها في دار الكتب ومكتبة البلدية بالإسكندرية وجدت فيها أخطاء كبيرة، وسقطات كما سنبينها إن شاء الله تعالى لذلك بدأت بتحقيقها قاصداً وجه الله تعالى الكريم وشاكراً كل من سبقني من الإخوة الذين لهم فضل السبق في نشر هذه الرسالة وغيرها من تراثنا القيم.

* * *

عملي في هذه الرّسالة

١ ـ التثبت من النص بعد المقارنة والعرض على النسخ الأربع التي توفرت لدي بالإضافة إلى المطبوع.

٢ ـ ترقيم الآيات التي يستشهد بها الغزالي داخل النص مع مراجعة كتب التفسير إن اقتضى الأمر.

٣ ـ تخريج أحاديثها تخريجاً علمياً معتمداً على كتب الصحاح والسنن والمسانيد، والرجوع إلى أقوال علماء الجرح والتعديل إن اقتضى الأمر.

٤ ـ ترجمة أعلامها الموجودة داخل النص ترجمة مختصرة ذاكراً بعض مصادر ترجمتهم.

٥ ـ التعليق على كل ما يحتاج إلى توضيح.

المقارنة بين هذه الطبعة، والطبعة السابقة:

إنني وإن كنت قد عزمت على أن أترك هذه الموازنة للقارىء الكريم، لكنه لا مانع من أن نذكر بعض مميزات عملنا هذا لتكون مبررات لإعادة الطبع والتحقيق[1].

---

(١) وإنني دائماً أتمنى لنفسي ولغيري من الباحثين الكرام أن لا نقوم بعمل قد قام به =

أولاً: إن الطبعات السابقة لم تكن محققة حتى طبعة دار الشروق التي كتب عليها أنها طبعة محققة لا تسمى تحقيقاً في عرف أهل التحقيق ـ كما سبق ـ. فلم يذكر لنا المحقق الكريم النسخ التي اعتمد عليها، ولم تظهر عليها مقارنات بالنسخ المعتمدة والفروق بينها، وكتابة هذه الفروق بالهامش، كما أنها لم تخرِّج أحاديثها التي استشهد بها الغزالي مع أن تخريجها من أهم الأمور وذلك ليطمئن القارىء الكريم من مدى صحة الحديث الذي استدل به، بحيث إن كان ضعيفاً سقط به الاستدلال وإن كان قوياً وجب عليه الاعتماد.

ثانياً: قد وقعت في الطبعة التي ذكرناها أخطاء كثيرة وسقطات خطيرة وزيادات، وهي كما تراها إن شاء الله منها:

في ص (٤٦) من المطبوعة حيث العبارة فيها: (واعلم أن بعض مسائلك يستقيم جوابها بالكتابة. . .)، والصواب: (لا يستقيم. . .) كما في جميع النسخ المعتمدة عندنا[١]. وأيضاً إن العبارة لا تستقيم بدون (لا) بقرينة السياق واللحاق، فتمام العبارة: (لا يستقيم جوابها بالكتابة والقول، إن تبلغ تلك الحالة تعرف ما هي، وإلاّ فعلمها من المستحيلات؛ لأنها ذوقية وكل ما يكون ذوقياً لا يستقيم وصفه بالقول). ثم أتى بالأمثلة على أنها لا يستقيم الجواب عنها.

ومن الأخطاء الخطيرة من حيث المعنى ما في ص (٨٦) من المطبوعة:

= غيرنا حتى لا يضيع الجهد بدون فائدة، ولا سيما فإن تراثنا ضخم ينتظر أن يمد إليه الباحثون أياديهم ليخلصوه من الأرضة والديدان وليرى النور ويعم النفع للجميع.
فكم أتمنى من الله تعالى أن يوفق العالم الإسلامي لتكوين هيئة عالمية متحدة للنشر والتحقيق تشرف على ما يُحقق وينشر بحيث يكون لها فروع في جميع الدول الإسلامية وتصدر منشورات دورية على كل كتاب يحقق أو ينشر، حتى لا يتكرر الجهد، وما ذلك على الله بعزيز.

(١) ص [١١٨] من طبعتنا.

(كما لو علمت أن عمرك ما يبقى غير أسبوع، فبالضرورة لا تشتغل بعلم الفقه والأخلاق والأصول. . . لأنك تعلم أن هذه العلوم لا تغنيك). والصواب (بعلم الفقه والخلاف. . .)[1] كما في جميع النسخ المعتمدة لدينا. ولأن علم الخلاف هو المناسب أن يقع بعد الفقه وقبل الأصول، ولأن علم الأخلاق لا بدّ أن يشتغل به كما ينص عليه الغزالي نفسه بعد هذه العبارة فيقول: (بل تشتغل بمراقبة القلب، ومعرفة صفات النفس. وتزكي نفسك عن الأخلاق الذميمة. . . والاتصاف بالأوصاف الحسنة)[2].

ومن التحريفات ما في ص (٨٧): (والكلام الفرد يكفي، أليس قال رسول الله ﷺ). والصواب: (والكلام الفرد يكفي الكيس؛ قال رسول الله ﷺ)[3]. وكما في جميع النسخ المتوفرة عندنا.

وفي ص (٨٧) نفسها العبارة فيها: (أن السلطان بعد أسبوع يختارك وزيراً)، والصواب: (يجيئك زائراً)[4]. كما في جميع النسخ المتوفرة لدينا ولأن الكلام في الزيارة حيث العبارة بعدها مباشرة (. . . اعلم أنك في تلك المدة لا تشتغل إلاّ بإصلاح ما علمت أن نظر السلطان سيقع عليه من الثياب والبدن، والدار والفرش وغيرها)[5].

وسقط من ص (٦٩) في المطبوعة حديث أثبتناه من بعض النسخ.

وغير ذلك كثير ستراه إن شاء الله تعالى عند ملاحظتك للهوامش.

---

(١) ص [١٤٦] من طبعتنا.

(٢) ص [١٤٧] من طبعتنا هذه.

(٣) ص [١٤٧] من طبعتنا.

(٤) ص [١٤٧] من طبعتنا.

(٥) ص [١٤٧] من طبعتنا هذه.

هذا وستنحصر دراستنا في القسم الدراسي على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف باختصار.

الفصل الثاني: التعريف بالرسالة.

الفصل الثالث: في آداب المتعلم والعالم.

والله نسأل أن يؤدبنا برحمته أحسن تأديب، ويوفقنا لخدمة الإسلام، ونشر تراث سلفنا الصالح.

﴿ . . .ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ (الممتحنة: ٤).

خادم الكتاب والسنّة

علي محيي الدين علي القره داغي

القــاهرة

٢٧ رجب - شهر الله الحرام

عام ١٤٠٣ هـ - ١٠/٥/١٩٨٣م

القسم الدراسي

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف باختصار.

الفصل الثاني : التعريف بالرسالة، ومحتوياتها مع التحليل.

الفصل الثالث : آداب المتعلم والعالم.



الفَصْل الأوَّل

التَّعريفُ بالمؤلِّفِ بٱختِصَار [1]

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي[2] أبو حامد الغزَّالي[3].

ولد في سنة (٤٥٠هـ) من أسرة صالحة، فقد كان أبوه رجلاً صالحاً لا يأكل إلّا من كسب يده في عمل غزل الصوف. وكان يطوف على الفقهاء والوعاظ، ويجالسهم ويتوفر لخدمتهم، ويجدُّ في الإحسان إليهم. ويحضر مجالس الفقهاء، فإذا سمع كلامهم بكى وتضرع إلى الله تعالى، وسأل الله أن يرزقه ابناً ويجعله فقيهاً. ثم يحضر مجالس الوعظ، فإذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه ابناً واعظاً. فاستجاب الله دعوته، قال ابن السبكي: (أما أبو حامد فكان أفقه أقرانه، وإمام أهل زمانه وفارس ميدانه، وأقر بفضله المعادي والمخالف. وأما أحمد فكان واعظاً ينفلق الصم الصخور

---

(١) راجع التفصيل في ترجمة حياة الغزالي، القسم الدراسي للوسيط للإمام الغزالي بتحقيقنا.

(٢) نسبة إلى مدينة طوس التي ولد بها وهي مدينة كانت عامرة بالعلم والعلماء آنذاك، وهي تشتمل على بلدتين هما: الطابران، والنوقان، وقد دمرها المغول ثم بُني قربها مدينة مشهد الحالية بإيران. انظر: مراصد الاطلاع [٨٩٧/٢].

(٣) الراجح بتشديد الزاي نسبة إلى صناعة الغزل أي صنعة الصوف. ولقب به لأن والده وجده كانا يغزلان الصوف. وقد قمنا بتحقيق هذا في القسم الدراسي للوسيط فراجعه [١٠١/١ - ١٠٤].

عند استماع تحذيره، وترعد فرائص الحاضرين في مجالس تذكيره)[1].

ولما حضرت الوفاة والده وصَّى بالغـزالي وأخيه أحمـد إلى رجل متصوف صديق له فقال له: (إن لي تأسفاً عظيماً على تعلم الخط، وأريد استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين، فعلِّمهما، ولا عليك أن تنفذ ذلك جميع ما أخلفه لهما)[2].

فقام هذا الصوفي على تعليمهما إلى أن فنيَ المال الذي تركه لهما، ثم قال لهما: (اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما، وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به، لذلك فالأصلح لكما أن تلجآ إلى مدرسة فإنكما من طلبة العلم الآن، فحينئذ يحصل لكما قوت يعينكما على التعلم).

فسمع حجة الإسلام وأخوه هذه النصيحة واندرجا في سلك طلبة العلم فكان ذلك سبب سعادتهما وعلو درجتهما. وكان الغزالي دائماً يحكي هذا ويقول: (طلبنا العلم لغير الله تعالى فأبى أن يكون إلاّ لله)[3].

ثم سافر الغزالي إلى جرجان وقرأ على كثير من علمائها وهو صغير فقد كان يكتب تعليقات أستاذه في الفقه والفوائد التي أخذها منه وجمعها في كراريس سماها «التعليقة». وقد كان يريد الاكتفاء بالكتابة دون الحفظ غير أن هذا الإهمال قد لقنه درساً قاسياً حيث قُطع عليه الطريق وهو في طريق عودته إلى طوس، وأخذ قطَّاع الطرق جميع ما كان مع القافلة بما فيه المِخلاة ـ أي حقيبة الغزالي التي كان فيها تعليقته ـ.

---

(١) راجع: طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي [٦/ ١٩٤] وإتحاف السادة المتقين [١/ ١٨].

(٢) طبقات الشافعية [١/ ١٩٣]، والقسم الدراسي للوسيط [١/ ١٠٨].

(٣) طبقات الشافعية [١/ ١٩٣]، وإتحاف السادة [١/ ٧]، والغزالي للدكتور أحمد فريد رفاعي [١/ ٨٧].

وقد حكى لنا الغزالي هذه الحادثة فقال: (فتبعتهم فالتفتَ إليَّ كبيرهم وقال: ويحكَ ارجع وإلاّ هلكتَ. فقلتُ: أسألكَ بالذي ترجو السلامة منه أن تردَّ عليَّ تعليقتي فقط، فما هي بشيء تنتفعون به.

فقال لي: وما هي تعليقتك؟.

فقلت: كتبٌ في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها، ومعرفة علمها.

فضحك وقال: كيف تدَّعي أنكَ عرفتَ علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم!.

ثم أمر بعض أصحابه فسلَّم إليَّ المخلاةَ).

قال الغزالي: (فقلت: هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به أمري، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لو قطع عليَّ الطريق لم أتجرد من علمي)[(١)].

ثم سافر إلى نيسابور ـ كبرى مدن خراسان ـ ولازم إمام الحرمين وجدَّ واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق والحكمة والفلسفة وغيرها. ثم خرج إلى المعسكر قاصداً الوزير العالم الحكيم نظام المُلك، حيث كان مجلسه مجمع أهل العلم. فناظر الأئمة الكبار في مجلسه، وظهر كلامه عليهم واعترفوا بفضله، فتلقاه نظام الملك بالقبول والتعظيم وولاه تدريس مدرسته النظامية ببغداد. فعاش في بغداد حتى ذاع صيته واشتهر بين الأنام وغلبت هيبته هيبة الوزراء والسلاطين، وكان يستشيره الخليفة والوزراء في الأمور الهامة[(٢)].

ثم بقي على هذه الحالة فترة إلى أن تغير حاله وانقلب أمره من

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى [١/ ١٩٥].

(٢) طبقات الشافعية [٦/ ٢٠٥].

مظاهر الدنيا إلى حب العزلة، فبدأت أزمته الروحية. واعتزل الحياة الاجتماعية تاركاً بغداد وما فيها من جاه ومال، متجهاً إلى الجامع الأموي بدمشق ليعتكف فيه ويعبد الله تعالى حق عبادته، ويعيش بتفكير مع نور الله تعالى بعيداً عن كل ضوضاء الحياة ومشاكلها. فبقي فترة على هذه الحالة عابداً زاهداً متجولاً بين المساجد والمشاهد، حاجّاً ومعتمراً وزائراً حتى صفي روحه ونجح في القضاء على الشكوك والأوهام. وعاهد في عزلته وأمام مشهد سيدنا الخليل عليه السلام على ثلاثة أمور وهي كما قال: (لما وقفتُ على تربة الخليل عليه السلام في سنة (٤٨٩هـ) نذرت ثلاثة: أن لا أقبلَ من أي سلطان أي مال، وأن لا أذهب إلى سلام أي سلطان، وأن لا أناظر أحداً)[١].

ثم زار بغداد وهو في طريق عودته إلى مسقط رأسه طوس، ونزل رباط أبي سعيد النيسابوري لكنه لم يذهب إلى بيت من بيوت السلاطين أو الوزراء، بل تكلم على لسان أهل الحقيقة وحدث بكتاب «الإحياء». ثم غادر بغداد متوجهاً إلى خراسان فعاد إلى وطنه طوس ملازماً بيته، ومشتغلاً بالعبادة وتعليم الطلبة. ثم لما رأى أن نشاط العلم قد ضعف عاد إلى التدريس في مدرسة نيسابور حيث يقول: (فإن نشاط العلم قد أخذه الوهن والفتور، وقد قامت قلوب الأعزة وأرباب القلوب وأهل البصيرة بتأييد هذا الطلب، وقد نبهت في اليقظة والمنام بأن هذه الحركة مبدأ الخيرات وسبب لإحياء الشريعة)[٢].

وقد أدرك الغزالي خطورة الوضع الداخلي للعالم الإسلامي حيث ظهرت الفرق الهدامة والتيارات الإلحادية الباطنية، لذلك ترك العزلة وعاد إلى الميدان بكل ثقله حيث يقول: (ثم لما واظبتُ على العزلة والخلوة

---

(١) فضائل الأنام من رسائل حجة الإسلام ص [٨٥].

(٢) المصدر السابق ص [٤٥].

قريباً من عشر سنين بانَ لي في أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها. . . أنَّ الإنسان خلق من بدن وقلب. . .).

ثم لـمّا بيَّن أسباب ضعف الإيمان وخطورة الفرق الهدامة قال: (فلما رأيت أصناف الخلق من ضعف إيمانهم إلى هذا الحد بهذه الأسباب، ورأيت نفسي ملبية بكشف هذه الشبهة حتى كان إفضاح هؤلاء أيسر عندي من شربة ماء لكثرة خوضي في علومهم وطرقهم ـ أعني طرق الفلاسفة والمتصوفة والتعليمية والمتوسمين من العلماء ـ، انقدح في نفسي أن ذلك متعين في هذا الوقت محتوم، فماذا تغنيك الخلوة والعزلة وقد عم الداء، ومَرِض الأطباء وأشرف الخلق على الهلاك. . .)[1]. ولذلك ترك العزلة وبدأ بالتدريس وبالرد على الباطنية والفلاسفة والمتصوفة الذين لا يلتزمون بالكتاب والسنّة، اللذَيْن هما المعيار لوزن كل أحد وكل فكرة، وألف في كل ذلك كتباً نافعة.

ثم بقي سنة في نيسابور، وتركها بعد ذلك ليبني لنفسه وطلبته في طوس مسجداً ومدرسة لطلبة العلم ورباطاً للتربية الروحية ينهل من علومه وتجاربه الكثيرون. ومع ذلك لم يترك الغزالي مشاكل الناس بل عايشها وعاش معهم فبعث في سبيل ذلك رسائل كثيرة إلى السلاطين والوزراء والأمراء ينصحهم ويأمرهم بـالمعروف وينهـاهم عن المنكر، ويحـذرهم من الظلم وكثـرة الضرائب على الشعب. حتى قال للسلطان سنجر: (فانظر إلى الناصح الصامت ـ أي الموت ـ ماذا يقول بلسان الحال؟!.

أيها الملك فإذا أوقفوك في مقام المؤاخذة والسؤال وقالوا لك: ماذا فعلت بعبادنا الذاكرين لكلمة «لا إلّه إلاّ الله» الذين جعلناهم رعيتـك، وأعطيناك عدة مواش فاهتممت بها حتى خصصت لها كل رحبة خصبة وغفلت عن عبادنا؟!.

---

(١) المنقذ من الضلال ص [١٥٢].

ولماذا قدَّمت حرمة مواشيك على أعزتنا وقد قلنا: إن حرمة المؤمن عندنا أعظم من الكعبة فماذا عندك من الجواب على هذا السؤال؟! . . .).

ثم طلب الغزالي العدل والرحمة بالرعية وقال: (وهم في أزمة شديدة مشردون مصابون في الظلم والقحط والجفاف، وقد انقصمت ظهور المؤمنين وانحنت أعناقهم من البلاء ومحنة الجوع، فماذا يكون إذا خففت من ثقل أطواق الذهب في أعناق ماشيتك؟!)[1].

وبقي هكذا عالماً معلماً زاهداً ناصحاً مربياً، داحضاً لحجج الفرق الهدامة إلى أن لبى نداء ربه بعد عمر دام خمساً وخمسين سنة، كله تعلم وتعليم وتضرع لله رب العالمين. وذلك في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة (٥٠٥هـ).

قال أخوه أحمد: لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي وصلى وقال: (عليَّ بالكفن). فأخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال: (سمعاً وطاعةً للدخول على الملك)، ثم مد رجليه واستقبل القبلة ففاضت روحه إلى رضوان الله تعالى قبل الإسفار، ودفن بظاهر قصبة طابران[2]. أي قريب من قبر إمام الدنيا الإمام علي الرضا بالمشهد، بعد أن ملأ الدنيا بعلومه وتآليفه التي بلغت المئات[3].

وقد كان خاتمة أمره على دراسة الحديث الشريف، حيث وجه جلَّ اهتمامه نحو مطالعة الصحيحين وكتب السنن. ولم يكتف بذلك بل استقدم الحافظ أبا الفتيان عمر بن أبي الحسن الرَّواس وأكرمه وسمع عليه صحيحي البخاري ومسلم. قال الحافظ عبد الغافر الفارسي: (ولو عاش لسبق الكل

---

(١) فضائل الأنام من رسائل حجة الإسلام ص [٣٨ ـ ٤٢].

(٢) طبقات الشافعية الكبرى [٦/٢١١]، وإتحاف السادة [١/١١]، والقسم الدراسي للوسيط ومصادره المشار إليها فيه.

(٣) راجع كتاب مؤلفات الغزالي للأستاذ بدوي.

في ذلك الفن بيسير من الأيام يستفرغه في تحصيله، ولا شك أنه سمع الأحاديث في الأيام الماضية واشتغل في آخر عمره بسماعها. . .)[1].

وقد كانت نظرة الغزالي إلى العلوم أنها لا بدّ أن تكون خادمة للدين، وأنه لا تناقض بين العلم والدين. وأن المرجع الأساسي والأصل الذي لا يمكن الحياد عنه هو الكتاب والسنّة، فهما الميزان الذي يزن به التصوف وغيره. كما أن نظرته إلى الحياة ـ حتى في وقت عزلته ـ أنها مزرعة للآخرة، وأنه لا يمكن للعالِم أن يبتعد عن مشاكل مجتمعه بل لا بدّ أن يتعايشها ويحاول حلها على ضوء شريعة الإسلام[2]. فهو يقول عن السياسة إنها لا تنفك عن الدين الإسلامي حيث يقول في الإحياء ـ وهو قد ألّفه في حالة عزلته ـ: (فإن الدين مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين إلاّ بالدنيا. والمُلْك والدين توأمان، فالدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع. ولا يتم الملك والضبط إلاّ بالسلطان، وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه)[3].

فرحم الله الإمام الغزالي يوم نشر العلم للدفاع عن الإسلام، والرد على الفسق والضلال والظلم والانحراف والإلحاد، ويوم مات مطمئناً بالله تعالى ويوم يبعث حياً. وجعلنا الله تعالى من خدمة الإسلام وعلومه وحشرنا في زمرة أحبائه وأوليائه. وكتب لنا شفاعة نبيه يوم العرض عليه آمين.

* * *

---

(١) المصادر السابقة وراجع الطبقات الكبرى [٦/٢١٠ ـ ٢١٣].

(٢) راجع القسم الدراسي للوسيط فتجد فيه تفصيلاً حول هذا الموضوع.

(٣) إحياء علوم الدين، ط. عيسى الحلبي [١/١٨].



الفصل الثاني

التعريف بالرسالة ومحتوياتها مع التحليل

وسنختصر مباحث هذا الفصل في نقاط عدة وهي:

١ ـ اسم الرسالة:

ورد في أكثر المخطوطات التي عثرنا عليها أن اسمها رسالة: «أيها الولد». وورد اسمها في إحدى مخطوطات دار الكتب المصرية: «الرسالة الولدية»، وهذا الاسم هو ما اختارته طبعة مطبعة كردستان العلمية سنة (١٣٣٨هـ)، وأما طبعة دار الشروق فقد اختارت اسم: «أيها الولد المحب».

والذي نرجحه من بين الأسماء هو «**أيها الولد**»، كما ورد في أكثر المخطوطات التي عثرنا عليها.

ولا يخفى أن المراد بـ «الولد» هنا أحد تلامذة الإمام الغزالي الذي طلب منه النصح والإرشاد، كمايتبين ذلك من مقدمة الرسالة.

وتسمية الغزالي التلميذ بالولد تدل على أن الأستاذ في مقام الوالد، والتلميذ في مقام الولد. وهذا ما نبه عليه في «إحياء علوم الدين» بقوله: (الوظيفة الأولى: ـ أي من وظائف المعلم ـ الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده»، وفي بعض الروايات: «بمنزلة الوالد أُعلِّمكم»[١]. فإن الوالد سبب الوجود

(١) الحديث رواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة [١/٢٧]؛ والنسائي في سننه، =

الحاضر والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية. . .)[1].

فقد كان حجة الإسلام مشفقاً على تلامذتـه منزلاً إياهم في مرتبة أولاده كما أنه كان شديد الحرص على تربية الأولاد عموماً وتربية الأطفال خصوصاً، فقد عقد باباً خاصاً لرياضة الصبيان ووجه تأديبهم في «إحياء علوم الدين» (٣/٦٩)، فقال في مقدمته: (اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة. وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه. فإن عوَّده على الخير وعلَّمه، نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب. . .)[2].

٢ ـ نسخ الرسالة:

عثرت على أربع نسخ مهمة بالإضافة إلى المطبوعة التي رمزت إليها بـ : «ط».

وهذه النسخ: ثلاث منها في دار الكتب المصرية رتبتها على ضوء حروف «الولد». فرمزت إلى الأولى بـ: «و»، وإلى الثانية بـ: «ل» وإلى الثالثة بـ: «د». وأما النسخة الرابعة فهي نسخة الإسكندرية وقد رمزت إليها بحرف: «س» رمزاً إليها.

١ ـ نسخة «و» : وهي النسخة الموجودة في دار الكتب برقم (٣١٧١ تصوف)، وكتب في بداية الصحيفة الأولى أن اسمها: (رسالة الولـدية) للإمام العالم العلّامة أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. وفي آخرها تمت على يد المسكين محمود عفى عنه في ١١ جمادى الأولى سنة ١١٨٣هـ.

= كتاب الطهارة [١/٣٥]؛ وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة [١/١١٤]؛ وأحمد في مسنده [٢/٢٤٧].

(١) إحياء علوم الدين، ط. عيسى البابي الحلبي [١/٥٥].

(٢) إحياء علوم الدين، ط. عيسى البابي الحلبي [٣/٦٩ ـ ٧٧].

وهي تقع في إحدى عشرة ورقة متوسطة الحجم، وبخط جيد واضح.

٢ ـ نسخة «ل»: وهي النسخة الموجودة في دار الكتب برقم (٣١٨٧ تصوف) في ثماني ورقات وبخط نسخ جيد واضح وتليها وصية الإمام أبي حامد الغزالي.

كتب على صحيفة العنوان أسم الرسالة: (كتاب الولد لحجة الإسلام الغزالي رحمه الله) وفي آخرها أنها كتبت في سنة ١٢٥٤هـ. وهي نسخة جيدة قوبلت بنسخة أخرى بدليل زيادات وفروق بالهامش منسوبة إلى نسخة بعد المقابلة.

٣ ـ نسخة «د»: وهي النسخة الموجودة في دار الكتب برقم (٢٣٤ تصوف) تقع في تسع ورقات بخط واضح كتب على صحيفة العنوان: (رسالة أيها الولد تأليف شيخ الوقت وفريد العصر حجة الإسلام أبي حامد الغزالي) وعليها بعض أختام وأنها قد وقفت لروح أم مالكها. وهي نسخة جيدة قديمة غير مؤرخة.

٤ ـ نسخة «س»: وهي نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية برقم (١٩٤١ ـ د مواعظ). تقع في ٢٧ ورقة صغيرة بخط واضح كبير جميل في كل ورقة ١١ سطراً، وفي كل سطر ٦ كلمات وعليها حواش وتعليقات كتب في أول الصحيفة اسمها: (أيها الولد)، وفي آخرها: تم الكتاب بعناية رب الأرباب على يد الفقير السيد محمد الأمين بن السيد محمد غفر الله لهما ولجميع المؤمنين والمؤمنات يوم يقوم الحساب سنة ١٠٦١هـ.

وعلى الصحيفة الأخيرة سؤال وهو:

ولا تمنع كتاباً مستعيراً
فإن البخل للإنسان عار
أمَا تسمع حديثاً من رواة
جزاءُ البخل عند الله نار

جوابـه:

ألاَ يـا مـسـتـعـيـر الـكـتـاب دعـنـي
فـإن إعـارة الـمـحـبـوب عـار
فـمـحـبـوبـي فـي الـدنـيـا كـتـابـي
فـهـل أبـصـرت مـحـبـوباً يـعـار

٥ ـ وقد رمزت إلى طبعة دار الشروق بـ «ط».

* * *

٣ ـ محتويات الرسالة وتحليلها:

نذكر هنا محتويات الرسالة ـ من حيث الأفكار العامة الهامة التي تحتويها ـ على شكل نقاط حتى يسهل الإفادة منها وحفظها وهي:

١ ـ النصيحة سهل، والمشكل قبولها وتنفيذها.

٢ ـ العلم المجرد لا يوصل الإنسان إلى الغاية إلَّا مع العمل.

٣ ـ الإيمان: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان.

٤ ـ إن كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله تعالى ولكن بعد أن يستعد بطاعته وعبادته.

٥ ـ ما لم تعمل لم تجد الأجر.

٦ ـ العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون.

٧ ـ طالب العلم يحتاج إلى همة في الروح، وهزيمة في النفس، وموت في البدن.

٨ ـ لا ينال الإنسان الغاية إلّا بالجد وسهر الليالي.

٩ ـ خلاصة العلم الوصول إلى معرفة الطاعة والعبادة لله تعالى.

١٠ ـ موافقة الشرع هي الأساس، فالعلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة.

١١ ـ التصوف يكون بالمجاهدة وقطع الشهوة لا بالشطح والطامات والترهات.

١٢ ـ علامة الشقاوة الكلام الكثير، والقلب الغافل المملوء بالشهوة.

١٣ ـ كل ما يكون ذوقياً لا يستقيم وصفه بالقول ولا يعرف إلّا بالذوق.

١٤ ـ طرق التحصيل تبدأ بعلم الشريعة، وباعتقاد صحيح، وتوبة نصوح.

١٥ ـ حقيقة النجاة في ثمانية أشياء: حب العمل الصالح، وطاعة الله تعالى، والإنفاق في سبيل الله ، والتقوى، والرضاء بقسمة الله تعالى، وحب الناس وعدم العداوة مع أحد إلّا مع الشيطان، وقطع الطمع عن غير الله تعالى، والتوكل على الله تعالى.

١٦ ـ لا بدّ للسالك من شيخ مرشد مربٍّ.

١٧ ـ وشرط الشيخ أن يكون عالماً معرضاً عن حب الدنيا والجاه، محسناً رياضة نفسه من قلة الأكل والقول والنوم، وكثرة الصلوات والصدقة والصوم.

١٨ ـ لا بدّ للتلميذ أن يحترم أستاذه ظاهراً وباطناً. واحترام ظاهره بأن يسلم له فلا يجادله، ويصمت له، ويعمل بما يوصيه به. واحترام الباطن بأن يسمع ويقبل منه في الظاهر والباطن لئلا يتسم بالنفاق، وإن لم يستطع يترك صحبته إلى أن يوافق باطنه ظاهره. ويحترز عن مجالسة صاحب السوء.

١٩ ـ للتصوف خصلتان: الاستقامة، والسكون عن الخَلْق.

٢٠ ـ الصوفي هو من استقام وحسن خلقه مع الناس وعاملهم بالحلم.

٢١ ـ العبودية ثلاثة أشياء: محافظة أمر الشرع، والرضاء بالقضاء والقدر، وترك رضاء نفسك في طلب رضاء الله تعالى.

٢٢ ـ التوكل هو أن تستحكم اعتقادك بالله تعالى فيما وعد، يعني: تعتقد أن ما قُدر لك سيصل إليك لا محالة، وما لم يكتب لن يصل إليك قطعياً.

٢٣ ـ الإخلاص: هو أن تكون أعمالك كلها لله تعالى، ولا يرتاح قلبك بمحامد الناس، ولا تبالي بمذمتهم.

٢٤ ـ الرياء يتولد من تعظيم الخلق، وعلاجه أن تراهم مسخرين للقدرة الإلٓهية، وتحسبهم كالجمادات في عدم قدرة إيصال الراحة والمشقة إليك.

٢٥ ـ الحقيقة لا تصل إليها إلاَّ ببذل الروح وإلاَّ فلا تشتغل بالترهات الصوفية.

٢٦ ـ إذا تريد أن لا يكون علمك خصماً عليك يوم القيامة فعليك الالتزام بهذه النصائح الثماني:

(أ) أن لا تناظر أحداً، ففي المناظرة آفات كثيرة فهي منبع كل خلق ذميم. لكن تجوز إذا أردت إظهار الحق وذلك بأن لا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك، أو على لسان غيرك. وأن يكون البحث في الخلاء أحب إليك من أن يكون في الملأ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أَعِظُكُم بواحِدةٍ أنْ تَقومُوا لله مَثْنى وفُرادى ثمَّ تتفكَّـرُوا...﴾[1].

(ب) الحذر من الوعظ والتذكير بدون العمل، وإذا وعظت فاحترز عن التكلف وثناء الناس عليك.

(جـ) أن لا تخالط الأمراء والسلاطين.

(د) أن لا تقبل شيئاً من عطاياهم؛ لأن الطمع منهم يفسد الدين؛ لأنه يتولد عنه المداهنة.

(هـ) أن تجعل معاملتك مع الله تعالى بحيث لو عامل معك بها عبدك ترضى بها منه.

(و) أن تحب لسائر الناس ما تحبه لنفسك.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٤٦.

(ز) أن يكون علمك علماً يصلح قلبك ويزكي نفسك.

(حـ) أن لا تجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة.

٢٧ ـ مرض الجهل أربعة أنواع: أحدها يقبل العلاج وهو أن يكون صاحبه مسترشداً عاقلاً فهماً لا يكون مغلوب الحسد والغضب. والثلاثة الباقية لا تقبل العلاج وهم من كان سؤاله واعتراضه عن حسده وبغضه، ومن تكون علته من الحماقة، ومن يكون متكبراً.

٢٨ ـ العطايا والهدايا من الحكام الظلمة تورث محبتهم، ومن أحب أحداً يحب طول عمره وبقاءه بالضرورة، وفي محبة بقاء الظالم إرادة في الظلم على عباد الله تعالى، وإرادة خراب العالم. وأي مصيبة أضر من هذا على العاقبة والدين؟ وإيّاكَ إياك أن يخدعك استهواء الشياطين بأن تأخذ من الظالم الدينار والدرهم بحجة إن إنفاقهما في سبيل الله خير من إنفاق الظالم في اللهو، فإن اللعين قد قطع أعناق الكثير بهذه الوسوسة.

٢٩ ـ العمل بهذه النصائح مع الدعاء المأثور من كتب الصحاح.

وبعد فهذه هي أهم الأفكار العامة التي تحملها لنا هذه الرسالة، وهي كما ترى أفكار تربوية خاصة بطرق التربية والتعليم الروحية حيث تبدأ بالمتعلم من حيث هو، وتندرج معه في مسالك الصوفية، من تصفية القلب، وتحلية النفس بالمكارم لتصل به إلى ما ينشده من كمال وصفاء ونقاء[(١)]. فهذه الأفكار التربوية للغزالي منبثقة من الكتاب والسنّة، ولا تنفصم عن الإسلام قطعاً وإن صبغها بصبغة التصوف. فالتصوف في نظر الغزالي[(٢)] ليس إلاّ تطبيق الكتاب والسنّة تطبيقاً حقيقياً يشترك فيه الجسم

---

(١) راجع الفكر التربوي عند الغزالي للدكتور عبد الغني عبود، ط. دار الفكر العربي بمصر، ص [٣٢ ـ ٣٣].

(٢) راجع نظرة الغزالي إلى التصوف في القسم الدراسي للوسيط في الفقه للغزالي، بتحقيق علي محيي الدين القره داغي، ط. دار الاعتصام [١/ ١٦٤].

والروح والقلب والنفس وكل الجوارح الظاهرة والباطنة. ولقد رأينا في هذه الرسالة أيضاً أنه هاجم أكثر من مرة على شطحات الصوفية وطاماتهم وترهاتهم، فسمى الأمور الخارجة عن الكتاب والسنّة: ترهات، أي أباطيل وخرافات.

وهذه الآراء التربوية التي ذكرها الغزالي في هذه الرسالة تختلف من حيث العموم والشمول والأهداف عما ذكره من آداب المتعلم والعالم في كتابه «إحياء علوم الدين». فقد ذكر في «الإحياء» آداب المتعلم والعالم بوجه عام وشامل، وبيَّن وظائف كل واحد منهما، وأوضح الآداب والمحامد التي ينبغي أن يتحلى به كل واحد منهما. فذكر بشيء من التفصيل الآداب التي تتعلق بنفس العالم والمتعلم، وبالدرس والتدريس، وبالعلم وبالتعليم، فقد أراد أن يبين آداب التعلم والتعليم على وجه العموم والشمول لكل العلوم. ثم عرج نحو آداب العلم النافع المفيد، وآفات العلم[١].

وأما في هذه الرسالة فلم يقصد إلَّا الإرشاد لطريق العلم الموصل إلى الله تعالى، وعلم القلوب أو علم الآخرة. فقد بين طريق استثمار هذه الطرق للوصول إلى غاية العلم وأهدافه الحقيقية كما ذكره القرآن: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلماءُ ﴾[٢]. وذلك لأن السؤال كان خاصاً ببيان العلم النافع فكان جواب الغزالي يدور حول هذا الفلك. فقد بيَّن الطرق التي لو سلكها التلميذ لوصل إلى الحقيقة حيث قال: (وإني أنصحك بثمانية أشياء اقبلها مني لئلا يكون علمك خصماً عليك يوم القيامة...).

٤ ـ نظرة تاريخية إلى هذه الرسالة:

وإذا نظرنا إلى هذه الرسالة باعتبارها زاخرة بآراء هامة، وطرق نفسية في التربية والتزكية والتعليم فلا بدّ أن نلاحظ أن هذه الأفكار الهامة ليست

---

(١) انظر إحياء علوم الدين، ط. عيسى الحلبي [١ / ٤٩ ـ ٥٨].

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

مستحدثة بل هي مستنبطة من القرآن الكريم والسنّة المشرفة، حيث نرى الاستشهاد بآية كريمة، أو حديث شريف قبل كل مقطع أو بعده. كما أنه ليس علماً جديداً حدث في القرن الخامس الهجري، بل كان علماً نما مع تربية الرسول ﷺ لأصحابه ونضج معه وبه، واهتم به القرآن الكريم اهتماماً بالغاً في قصصه، ثم ترعرع وأخذ قالب تنظيم وترتيب أكثر في عهد التابعين ومن بعدهم، ثم ألف فيه العلماء بشكل مستفيض في نهاية القرن الثاني الهجري. فقد أشار القرآن الكريم إلى طريق الامتحان والاختبار في قصة آدم عليه السلام، حيث أجرى امتحاناً بينه وبين الملائكة فقال تعالى: ﴿ وَعَلَّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها ثُمَّ عرضَهُم على الملائِكَةِ فقالَ أنبِئُوني بأسمَاءِ هؤُلاءِ إنْ كُنتم صَادِقين * قالوا سُبحَانَكَ لا عِلم لنا إلَّا ما علَّمتَنا إنَّكَ أنتَ العليمَ الحكيم ﴾[1].

وقد أشارت هذه الآيات أيضاً إلى أن من سئل ولم يعلم جوابه يقول: لا أدري والله أعلم. قال القرطبي: (من سئل عن شيء ولم يعلمه فالواجب عليه أن يقول: الله أعلم لا أدري، اقتداءً بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء. قال مالك بن أنس: سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده لا أدري حتى يكون أصلاً في أيديهم، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال: لا أدري. وذكر الهيثم بن جميل قال: شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري)[2].

وكذلك أشار القرآن الكريم إلى أدب المتعلم مع المعلم من التسليم والصمت والصبر في قصة موسى وخضر عليهما السلام. فقد رحل موسى ـ وهو نبي من أنبياء الله عليهم السلام ـ في طلب العلم إلى شاطىء البحر

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣١ ـ ٣٢، وراجع تفسير القرطبي [١/ ٢٧٩].

(٢) تفسير القرطبي، ط. دار الكتب المصرية، سنة ١٩٦٨م [١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦].

تاركاً قومه في سبيل التعلم من عبد من عباد الله تعالى. ثم لما رآه استأذنه في أن يصاحبه للعلم، غير أن خضر عليه السلام اشترط عليه شروطاً وقبلها موسى عليه السلام حيث يقول القرآن الكريم حاكياً كلام خضر لموسى: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾. ثم كان مشفقاً عليه فبيَّن أن عدم استطاعته يعود إلى عدم إحاطته بعلم هذه الأشياء فقال: ﴿ وكيفَ تَصْبرُ عَلى مَا لَمْ تُحِطْ به خُبْراً﴾. فقال موسى: ﴿قالَ سَتَجِدُني إنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً ولا أعصِي لكَ أمْراً﴾ فقد استجاب موسى لكلامه وزاد أدباً آخر وهو أنه لا يعصيه في أمره بل يستجيب إليه بكل ما أوتي من وسائل.

ثم عاد خضر ليبين لـه الطريق الأسلم والأنجـح في التعليم وهو الاقتناع الكامل بمنهج المعلم وسلامته، والتسليم الكامل إليه، والصمت الحقيقي حتى ينتهي الأستاذ من أعماله ثم يقوم بشرحها له فقال خضر: ﴿ قالَ فإنْ اتَّبعْتَنِي فلا تَسْألنِي عن شيءٍ حتَّى أُحْدِثَ لكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾.

ثم مضيا على ساحل البحر بعد أن اتفقا على هذه الآداب، حتى إذا ركبا سفينة فقام خضر بخرق السفينة وتعييبها، وهنا عارضه موسى عليه السلام فقال: ﴿ أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقد جِئْتَ شَيئاً إمْرَاً ﴾ أي منكراً. فقد كان مع سيدنا موسى كل الحق في معارضته مع أنه التزم بأن لا يعترض عليه، لأن وظيفته ـ وهو نبي ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية خالق، وأن كل شرط أحل حراماً أو حرم حلالاً فهو باطل، وسيدنا موسى لم يعلم بعدُ بالسر الذي وراء عملية الخرق، ولما علم بحقيقة الأمر اقتنع وهكذا إلى آخر القصـة في سورة الكهف (الآيات ٦٠ ـ ٨٢).

وكذلك لو فتشنا عن آداب المعلم والعالم في القرآن الكريم لوجدناه مليئاً بها من خلال قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم.

وأما مدرسةِ سيدنا ورسولنا محمد ﷺ فهي أعجوبة الزمن ومعجزة العالم

في التربية والتزكية والتعليم والسمو حتى شهد الله تعالى بنجاح مدرسته فقال: ﴿ كُنتُم خَيْرَ أمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تأمُرُونَ بالمعروفِ وتَنْهَـوْنَ عن المنكَرِ وتؤمنونَ بالله ﴾[1].

وقد بيَّن القرآن الكريم أسباب نجاحه وهي الرحمة، والرأفة، والعزم والتشاور، واللين وبشاشة الوجه، فقال: ﴿ فَبِما رحمةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لهم ولَو كُنتَ فظًّا غَلِيظَ القلبِ لانْفَضُّوا من حَوْلِكَ، فاعفُ عنهم واستَغْفِر لهم وشَاوِرْهم في الأمر، فإذا عَزمتَ فتوكَّلْ على اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يُحبُّ المتوَكِّلينَ ﴾[2].

فقد وضع الرسول ﷺ الأسس العامة للتعليم وهو استعمال الرحمة والرفق والتيسير والتبشير، فقد قال لأبي موسى ومعاذ لما بعثهما إلى اليمن: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وعلِّما ولا تنفِّرا»[3]. وقال ﷺ: «علِّموا ولا تُعنِّفوا فإن المعلم خير من المعنف»[4].

ويكفي أن نلفت نظر القارىء الكريم إلى كتب الصحاح والسنن حيث تجدها مليئة بطرق التربية والتزكية، فقد خصص جميعهم كتباً أو أبواباً خاصة للعلم وفضائله، وفضل تعلمه وتعليمه وأدب ذلك[5].

وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض الأحاديث والآثار تشير إلى أنه كان في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين كتاتيب منظمة يتعلم فيها أبناء المسلمين

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، مع فتح الباري [١٠/٥٢٤].

(٤) رواه الطيالسي في مسنده. انظر المقاصد الحسنة ص [٢٨٩].

(٥) راجع صحيح البخاري، كتاب العلم، مع فتح الباري [١/١٤٠ ـ ٢٣٢]؛ وصحيح مسلم، كتاب العلم [٤/٢٠٥٣ ـ ٢٠٦٠]؛ وسنن أبي داود، مع العون، كتاب العلم [١٠/٧٢ ـ ١٠٣]؛ والترمذي، مع التحفة، كتاب العلم [٧/٤٠٤ ـ ٤٥٩] وغيرها.

الفقراء والأغنياء على السواء، وأن هناك من اتخذ التعليم مهنة وصناعة لها أصولها ومناهجها وآدابها، فكان يقوم بها رجال أكفّاء متخصصون في طرائق التعليم وفي تهذيب الأخلاق والعناية بتنشئة أطفال المسلمين[1].

فقد روى محمد بن سحنون (ت ٢٥٦هـ) بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما مؤدب وَلِيَ ثلاثة صِبْيَة من هذه الأمة فلم يعلمهم بالتسوية فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين»[2]. وروى أنه ﷺ قال: «شرار أمتي معلمو صبيانهم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين»[3]. وقال ﷺ: «أدب الصبي ثلاث درر»[4]، أي عصيات صغيرات.

وروى أيضاً عن الحسن أنه قال: (إذا قوطع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم ـ أي الصبيان ـ كتب من الظلمة)[5]

وروى أيضاً عن ابن مسعود أنه قال: (ثلاث لا بد للناس منهم: فلا بد للناس من أمير يحكم بينهم ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً، ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها، ولولا ذلك لقلّ كتاب الله ـ أي قلت نُسَخُهُ ـ، ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً، ولولا ذلك لكان الناس أميين)[6].

وروى أيضاً بسنده عن ابن شهاب الزهري أن سعد بن أبي وقاص

---

(١) الدكتور محمود عبد المولى في القسم الدراسي لكتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون ص [٦٢].

(٢) آداب المعلمين لمحمد بن سحنون ص [٧٤].

(٣) المصدر السابق ص [٧٦].

(٤) المصدر السابق ص [٧٧].

(٥) المصدر السابق ص [٧٤].

(٦) المصدر السابق ص [٧٣].

قدم برجل من العراق يعلم أبناءهم الكتاب بالمدينة، ويعطونه الأجر[١].

وأكثر من ذلك فقد أثبت لنا الإمام محمد بن سحنون روايات عن أنس تثبت ازدهار مدارس التعليم (الكتاتيب) في عهد الخلفاء الراشدين. منها أنه قيل لأنس بن مالك: كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؟ قال أنس: (كان المؤدب له إجانة - أي إناء - وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماءً طاهراً فيصبونه فيها فيمحون به ألواحهم)، قال أنس: (ثم يحفرون حفرة في الأرض فيصبون ذلك الماء فينشف)[٢].

فهذه النصوص وغيرها تدل دلالة واضحة على أنه بدأت الكتاتيب المنظمة (المدارس) لتحفيظ القرآن وتعليم العلوم في وقت مبكر جداً. فقد كان في المدينة دار تسمى (دار القرآن) وأن بعض القرّاء كانوا يسكنونها ليحفظوا آي كتاب الله تعالى ويجودوا قراءته، ويقصدهم الناس إليها فيفيدون مما عندهم من علم كتاب الله وما حفظوا من حروفه وتلاوته[٣].

وقال المستشرق «دبيس» في دائرة المعارف الإسلامية: (ويظهر أنه قد وجدت منذ فجر الإسلام أمكنة كانوا يجتمعون فيها لاستظهار القرآن وتدارسه، ولا شك في أن هذه المواضع كانت كالمدارس الأولية يتعلمون فيها مبادىء القراءة وأصول الكتابة العربية كما يحدثنا الواحدي، ويذكر أن عبد الله بن أم مكتوم كان يسكن دار القرّاء بالمدينة)[٤].

---

(١) المصدر السابق ص [٧٣].

(٢) آداب المعلمين ص [٧٥].

(٣) المصدر السابق، والتربية والتعليم في الإسلام للدكتور محمد أسعد طلس، ط. دار العلم للملايين، بيروت سنة ١٩٥٧م.

(٤) دائرة المعارفة الإسلامية بالفرنسية [٤٠١/٢]، نقلاً عن القسم الدراسي للدكتور محمود عبد المولى ص [٦٢] في مقدمة كتاب آداب المعلمين.

ولما بدأت الفتوحات الإسلامية وانتشرت رقعة الإسلام جد الصحابة والتابعون في ترسيخ الإسلام عقيدة وشريعة في نفوس الناس فبرزت الكتاتيب بصورة واضحة، وتعددت مدارس التعليم في البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان حتى انتهت إلى القمة في القرنين الثالث والرابع الهجريين. فقد روي عن غياث بن أبي غياث أنه لما كان طفلاً كان في الكتاب فكان الصحابي سفيان بن رجب يزور كتابهم، ويلاطف الأطفال ويدعو لهم بالفتوح والبركة[١].

واستمر الأمر كذلك إلى أن ظهرت كتب خاصة بآداب المعلم والمتعلم، وأول ما وصلنا من هذه الكتب: كتاب «آداب المعلمين» لمحمد بن سحنون (ت ٢٥٦)[٢] الذي يعتبر رائداً في هذا الميدان حيث تناول فيه أبواباً كثيرة وأهمها هو: ما يتعلق بتعليم القرآن العزيز ص (٦٩)، وما جاء في العدل بين الصبيان ص (٧٤)، وكيفية محو الصبيان خطوط القرآن من ألواحهم، وما جاء بالأدب بالكلام أو بالضرب ص (٧٦)، وما يجب على المعلم من لزوم الصبيان ص (٨٠) وما جاء في إجارة المعلم ومتى تجب ص (٩٠) ، وما جاء في إجارة المصحف وكتب الفقه وما شابهها ص (٩٣). فقد قال الدكتور طلس: (وقد أزاح ـ أي محمد بن سحنون ـ لنا الستار عن معلومات كنا نعتقد أنها لا بد كانت موجودة لدى

---

(١) مقدمة كتاب آداب المعلمين ص [٦٣].

(٢) هو محمد بن سحنون: عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، ولقب أبوه بالسحنون لحدة ذكائه. كان إماماً ثقة عالماً بالمذهب المالكي وبالآثار، جمع فنون العلم وألف في جميع العلوم وفي المغازي والسير. ولد بالقيروان سنة (٢٠٢هـ) وتأدب بأبيه، وتفقه عليه ثم رحل لأجل العلم حتى جمع فأوعى، ثم ألّف مؤلفات كثيرة في كثير من العلوم. وتوفي سنة (٢٥٦هـ) ودفن بالقيروان.
انظر ترجمته في: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ط. القاهرة سنة ١٣٥١هـ ص [١٦١ ـ ١٦٦]؛ والمدارك للقاضي عياض، ط. الجامعة التونسية سنة ١٩٦٨م ص [١٧١]؛ والقسم الدراسي لآداب المعلمين ص [٣٩ ـ ٥٤].

المسلمين ولكننا نجهل تفصيلها فإذا بابن سحنون يرويها لنا عن أبيه عن شيخه الإمام مالك إمام المدينة، وعن غيره من الأئمة الأعلام، والشيوخ الأكابر الذين عاصروا الصحابة فعرفوا عن كثب طريقة التربية العربية الإسلامية)[1].

ثم توالت التآليف بعده في هذا الحقل فألّف فيه الآجري المتوفى سنة (٣٦٠هـ)، والخوارزمي المتوفى سنة (٣٧٧هـ). ثم جاء ابن جزار القيرواني المتوفى سنة (٣٩٥هـ) فألّف كتابه باسم «سياسة الصبيان وتدبيرهم»[2]. وجاء أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابيني المتوفى سنة (٤٠٣هـ) فألّف كتاباً جمع فيه وأوعى في «أحوال المعلمين، وأحكام المعلمين والمتعلمين»[3]. ثم ألّف في الحقل أيضاً أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيفي المتوفى سنة (٤٢٠هـ) كتاباً وسماه «آداب المعلمين» في خمسة أجزاء[4].

ثم جاء الغزالي فجمع ما بين طرق التعليم والتربية وطرق التزكية والتصفية فأبدع فيه وابتكر ذلك من خلال هذه الرسالة التي نحن بصدد الكلام عنها وكتابه «إحياء علوم الدين»، ثم تبعهم المؤلفون فأكثروا ولخصوا فاختصروا[5].

وبذلك عرفنا أن المسلمين بسبب محركهم الأساسي: القرآن والسنّة لم يهملوا هذا الجانب الهام في حياة الأمة وهو الاهتمام بطرائق تربية

---

(١) تأريخ التربية والتعليم ص [٥٠].

(٢) قام بتحقيقه محمد الحبيب الهيلة، ط. الدار التونسية للنشر سنة ١٩٦٨م.

(٣) قام بتحقيقه ونشره الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، ط. دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٥٥م.

(٤) الفكر التربوي عند الغزالي للدكتور عبد الغني عبود ص [٣٥].

(٥) المصدر السابق نفسه ص [٣٥].

الأطفال والبحث عن أنجح الطرق والمناهج، انطلاقاً من أنه لا حضارة بغير علم ولا علم بغير تعليم، ولا تعليم بغير نظام معين ينظم الصلة بين المتعلم والمعلم. ولذلك انتشر الإسلام لا بالسيف وإنما بالعلم واستعمال الحكمة في كيفية إيصاله إلى الناس. فقد تفجر هذا الينبوع في واد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام الذي كانت قلوب الناس تهوي إليه، فلم يلبث أن أصبح فيضاً غمر الجزيرة العربية وغيثاً جاوزها في سرعة عجيبة خارقة ليعم أقطاراً كثيرة في آسيا وإفريقية ثم أوروبا. (والمؤرخون يعلمون بأن انتشار الإسلام بهذه السرعة ظاهرة فريدة في التأريخ البشري كله، وبعضهم لا يكاد يجد لها تعليلاً يقبله الفكر في سهولة ويسر)[1]. فقد كان شغل الفاتحين المسلمين الشاغل هو نشر الإسلام فظهرت على أيدي الصحابة الكرام وتابعيهم مدارس العلم في العالم الإسلامي أجمع.

فما أحوجنا اليوم إلى العودة إلى هذا التراث الضخم، وما أحوجنا اليوم إلى الأخذ بطرق السلف في التربية والتعليم والتزكية والتصفية، وإنه ليوم قريب إن شاء الله تعالى.

(١) أطلس التأريخ الإسلامي، ط. مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٤م، مقدمة الجزء الثاني عشر؛ وراجع مقدمة الدكتور محمود عبد المولى لكتاب آداب المعلمين ص [٢٢].

الفصل الثالث

آداب المتعلم والعالم

إن اعتناء الإسلام بالعلم وأهله من البديهيات التي لا تحتاج إلى بيان، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يرفَعِ اللهُ الذينَ آمنوا مِنْكُم والذينَ أُوتُوا العلمَ دَرَجاتٍ ﴾[1]. وأمر نبيه أن يطلب المزيد من العلم فقال: ﴿ وقُلْ رَبِّ زِدنِي عِلماً ﴾[2].

وبيَّن الرسول ﷺ فضل التعلم والتعليم فقال: «ومَنْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة»[3]. وبيَّن ﷺ فضل الخروج في طلب العلم فقال: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»[4]. وقال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم وإنَّ الله وملائكته وأهل السمٰوات...، والأرض حتى النملة في جحرها،

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٢) سورة طه: الآية ١١٤.

(٣) رواه البخاري تعليقاً في صحيحه، كتاب العلم، مع فتح الباري [١/١٦٠]؛ ومسلم في صحيحه مرفوعاً، كتاب الذكر [٤/٢٠٧٤]؛ وابن ماجه في سننه، المقدمة [١/٨١]؛ والترمذي في سننه، مع تحفة الأحوذي [٧/٤٠٥]؛ ورياض الصالحين ص [٣٣٧].

(٤) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

انظر: سنن الترمذي، كتاب العلم [٧/٤٠٦]؛ وروى ابن ماجه نحوه في السنن [١/٨٣].

وحتى الحوت ليصلون على معلِّمي الناس»[1]. وقال ﷺ أيضاً: «وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع، وإن العالم ليستغفر له من في السمٰوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً إنّما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[2].

وهكذا اعتنى الإسلام بالعلم وأهله، بل جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، حتى قال النووي: (والحاصل أن المسلمين اتفقوا على أن الاشتغال بالعلم لوجه الله تعالى أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن)[3].

وقد أدرك السلف الصالح رحمهم الله تعالى أهمية العلم وخطورته فنشروه على قدر ما استطاعوا تنفيذاً لقوله ﷺ: «بلِّغوا عني ولو آية...»[4].

ولا بد أن نعلم بأن هذه الفضائل للعلماء الذين عَلِموا فعَمِلُوا وعلَّموا

---

(1) رواه الترمذي بسند حسن في سننه، كتاب العلم [٤٥١/٧ ـ ٤٥٦]؛ وابن ماجه مختصراً في سننه [٨٠٧/١].

(2) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وأبو داود.

انظر: سنن ابن ماجه، المقدمة [٨١/١]؛ وسنن أبي داود مع العون، كتاب العلم [٧٢/١٠]؛ والترمذي مع التحفة، كتاب العلم [٤٥١/٧].

(3) المجموع [٢١/١].

(4) رواه البخاري في صحيحه، مع فتح الباري، كتاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [٤٩٦/٦].

وراجع في فضل العلم وأهله: صحيح البخاري، كتاب العلم [١٤٠/١]؛ والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ص [١٣ ـ ٢٩]؛ ومقدمة المجموع للنووي [١٨/١ ـ ٢٣]؛ ورياض الصالحين ص [٣٣٧].

غيرهم وقصدوا بعلمهم وتعليمهم وجه الله تعالى [1]، وإلّا فقد وردت أحاديث كثيرة تحذر من التعلم للمباهاة والتكبر حيث يقول ﷺ: «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار»[2]. وقال ﷺ: «العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه، وعلم في القلب فذلك العلم النافع»[3]. وقال ﷺ: «يا أبا ذر لأَنْ تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عُمل أو لم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة»[4].

والعلم الشرعي ثلاثة أقسام:

الأول: فرض العين وهو تعلم المكلف ما لا يتأدى الواجب الذي يتعين عليه فعله إلّا به، ككيفية الوضوء والصلاة ونحوها وكتعلم البيع والنكاح لمن أراد أن يقدم عليهما[5]. وكذلك علم القلب عند الغزالي وهو معرفة أمراض القلب كالحسد والعجب ونحوهما حيث قال: (معرفة حدودها وأسبابها وطبها وعلاجها فرض عين)[6].

الثاني: فرض الكفاية وهو تحصيل ما لا بد للناس منه في إقامة

---

(١) راجع تفصيل ذلك في إحياء علوم الدين، الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة وعلماء السوء [١/٥٨].

(٢) رواه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد صحيح، المقدمة [١/٩٣، ٩٦]. وانظر تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي بهامش الإحياء [١/٥٩].

(٣) قال الحافظ العراقي [١/٥٨]: رواه الترمذي الحكيم في النوادر، وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلاً بإسناد صحيح، وأسنده الخطيب في التأريخ من رواية الحسن.

(٤) رواه ابن ماجه بإسناد حسن كما قال المنذري [١/٧٩].

(٥) المجموع [١/٢٤ ـ ٢٥].

(٦) إحياء علوم الدين [١/١٤ ـ ٣٨].

دينهم من العلوم الشرعية كحفظ القرآن والأحاديث، والأصول والفقه، والنحو واللغة والتصريف، ومعرفة رواة الحديث والإجماع والخلاف ونحو ذلك. وكذلك ما يحتاج إليه في قوام أمر الدنيا كالطب والحساب والهندسة والصناعة والخياطة والفلاحة ونحوها، فكل ذلك فرض كفاية عند المحققين من العلماء ومنهم الإمام الغزالي[١].

الثالث: النفل وهو كالتبحر في أصول الأدلة والإمعان فيما وراء القَدْر للذي يحصل به فرض كفاية.

وغير هذه الأنواع الثلاثة إما محرم كتعلم السحر والشعوذة والتنجيم ـ إذا سميت بالعلوم ـ، وإما مكروه كتعلم الأشعار التي فيها الغزل المثير[٢]، أو مباح وهو ما يستوي فيه نفعه وضرره[٣].

هذا وقد ذكر علماؤنا الكرام آداب المتعلم والعالم، مستنبطين ذلك من الكتاب الكريم والسنّة المشرفة ليؤدي العلم دوره في التقرب إلى الله تعالى ولتحقيق قوله تعالى: ﴿ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ ﴾[٤]، بل ألّفوا فيها الكثير ـ كما سبق ـ. ونحن نذكر هنا، بتوفيق من الله تعالى، أهم ما ورد في الكتب المعتمدة[٥] في هذاالحقل بإيجاز:

---

(١) إحياء علوم الدين [١/ ١٦].

(٢) المجموع [١/ ٢٤ ـ ٢٧].

(٣) راجع إحياء علوم الدين [٣٩].

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٥) وقد اعتمدنا في هذا المبحث على مصادر أصيلة منها: «كتاب آداب المعلمين» للإمام محمد بن سحنون (ت ٢٥٦هـ)، ط. الشركة الوطنية بالجزائر؛ و«إحياء علوم الدين» للغزالي، وخاصة الباب الخامس منه في آداب المتعلم والمعلم، ط. عيسى البابي الحلبي؛ ومقدمة «المجموع» للإمام النووي، ط. شركة كبار العلماء؛ وكتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر؛ وغير ذلك من المصادر التي نشير إليها من خلال هذا البحث وخصوصاً كتب الصحاح والسنّة.

أولاً: آداب المتعلم

وقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله في هذه الرسالة أهم الأسس التي ينبغي لطالب علم الآخرة أن يعتمد عليها، وبيَّـن أهم الأُطر العامة التي يدور المتعلم من خلالها ليصل إلى ما يريده، وهي همة في الـروح، وعزيمة في النفس، ومجاهدة كبيرة في البدن واحترام للشيخ. وأهم من ذلك المحاولة لتطبيقه حتى لا يكون علمه خصماً عليه يوم القيامة، فيتعلم ويعمل بما علم[1].

كما ذكر الغزالي في إحياء علوم الدين[2] أن آداب المتعلم ووظائفه الظاهرة كثيرة، ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل ونحن نذكرها مع ما ذكره غيره من سلفنا الصالح لنصل إلى مدى اهتمامهم وعنايتهم بتربية المتعلم وتعليمه علماً نافعاً[3].

الأدب الأول:

طهارة الظاهر والباطن

أما طهارة الظاهر فبأن يحافظ على الوضوء، ونظافة جسمه ومظهره بقدر المستطاع.

وأما طهارة الباطن فبأن يريد بعلمه وجه الله تعالى ويقوم بتطهير نفسه عن الأخلاق الرذيلة والأوصاف المذمومة؛ لأن العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى، وكما لا تصح الصلاة إلاّ بتطهير الظاهر

---

(١) راجع ص [٩٢] من هذه الرسالة.

(٢) الإحيـــاء [١/٤٩].

(٣) راجع صحيح البخاري كتاب العلم [١/١٥٩]، حيث عقد باباً وسماه: (باب العلم قبل العمل) واستشهد بقوله تعالى: ﴿ فاعلمْ أنَّه لا إلّه إلاّ الله ﴾ (سورة محمد: الآية ١٩).

عن الأحداث والأنجاس فكذلك لا تصح عبادة الباطن إلّا بتطهير الباطن. فما دام العلم يعتبر عمارة للقلب فكيف يعمر الشيء قبل تنظيفه، فطهارة العلم هو إزالة خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف.

فقد بُني الإسلام - الذي ينظم الإنسان بكل ما له وما عليه - على الطهارة التي لا تتم إلّا بتطهير الظاهر والباطن، فقد أشار الله تعالى بقوله: ﴿إنَّما المشْرِكُونَ نَجَس﴾[1] إلى أن الطهارة والنجاسة غير مقصورتين على الظواهر المدركة بالحواس، فقد سمَّى المشرك نجساً مع أنه قد يكون نظيفاً في ثوبه وبدنه جميلاً في مظهره، لكنه نجس باطنه وملطخ بالخبائث والمنكرات. وإذا كانت الملائكة لا يدخلون بيتاً فيه كلب فكيف ينزلون في القلب المليء بالأنجاس والخبائث والصفات الرذيلة مثل: الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب ونحوها، فهذه الصفات مثل الكلاب النابحة في الباطن، فكيف تتفق مع ملائكة الرحمة[2]. فالقلب المظلم المشحون بالذنوب لا يستطيع استقبال الملائكة، ولا يبقى فيه مكان للعلم الذي هو نور لا يقذفه الله تعالى في القلب إلّا بواسطة الملائكة. وقد قال الإمام الشافعي:

شكوتُ إلى وكيع سوءَ حفظي
فأَرشدني إلى تركِ المعَاصي
وأَخبرني بأَنَّ العلمَ نورٌ
ونور الله لا يُهدى لعاصي[3]

فإصلاح القلب شيء ضروري لمن يريد أن يفيد من علمه، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن في الجسد مُضْغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٨.

(٢) إحياء علوم الدين [١/٤٩].

(٣) ديوان الإمام الشافعي، ط. مؤسسة الزعبي ودار الجيل ص [٥٤].

فسدت فسد الجسد كله ألَا وهي القلب»[1].

فثمرات العلم لا تحصل إلاَّ لمن طهر قلبه من كل الخبائث والرذائل. فالعلم ليس بكثرة الرواية والحفظ والفهم وإنما بما يعود عليه من توصيله إلى الله تعالى والخشية منه، ومن نشر الفائدة والخير على الناس.

قال الإمام الغزالي: فإن قُلْتَ: إني أرى جماعة من العلماء والفقهاء برزوا في الفروع والأصول وعدوا من جملة الفحول، وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها.

فأجاب الغزالي: بأنكَ إذا عرفتَ علم الآخرة ومراتب العلوم استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علماً، وأيضاً وإن غناءه من حيث كونه عملاً لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى[2].

الأدب الثاني:

تفريغ القلب للعلم وقطع العلائق الشاغلة

فطالب العلم لا يدرك مناه في العلم إلاّ بتفريغ القلب للعلم وقطع العلاقات التي تشغله عنه والبعد عن الأهل والوطن، فإن العلائق شاغلة وصارفة قال تعالى: ﴿ما جعلَ الله لرجلٍ من قلبينِ في جَوْفه﴾[3]. قال الإمام أبو حنيفة: ويستعان على حذف العلائق بأخذ اليسير عند الحاجة. وقال الخطيب البغدادي: يستحب للطالب أن يكون عَزَباً ما أمكنه لئلا يقطعه الاشتغال بحقوق الزوجة والاهتمام بالمعيشة عن إكمال طلب العلم. وقد أشار إبراهيم بن أدهم وسفيان الثوري إلى أن من تزوج أشغله زواجه

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان [١/١٢٦]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة [٣/١٢٢٠].

(٢) الإحياء [١/٤٩].

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤.

ثم أولاده عن إكمال طلب العلم وحفظ العلوم(١). ولذلك فالأولى له أن يؤخر زواجه إلى أن يتكون عنده الأساس الكافي للعلم، قال النووي: إن مذهبنا أن من لم يحتج إلى النكاح استُحبَّ له تركه وكذا إن احتاج وعجز عن مؤنته(٢). وكلما توزعت الفكرة كلما قصرت عن درك الحقائق، ولذلك قيل: (العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كُلَّكَ، فإذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر)(٣).

والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فأخذت الأرض بعضه، واختطف الهواء بعضه، ونشفت الشمس البعض الآخر فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ الزرع.

الأدب الثالث:

أدبه مع شيخه وأستاذه

لا يُدرك العلم إلاّ بالتواضع. فعلى طالب العلم أن يكون متواضعاً، ولا سيما مع شيخه وأستاذه فيكون مؤدباً وقوراً معه لا يتعدى حرمة مجلسه. وينظر إليه نظرة احترام وإجلال، وأن يلقي إليه زمام أمر التعليم كله ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق. ويقوم بخدمته بقدر ما يستطيع، فقد قال الشعبي: (صلّى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد: خلِّ عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا نفعل بالعلماء والكبراء. فقبَّل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ)(٤).

---

(١) المجموع [١/٣٥].

(٢) المجموع [١/٣٥].

(٣) إحياء علوم الدين [١/٥٠].

(٤) رواه الحاكم والطبراني؛ وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم.
انظر: تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي بهامش الإحياء [١/٥٠].

فلا يجتمع التعلم مع الكبر، ولا ينال العلم إلّا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[1]. قال الغزالي: (ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم والفهم، ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما أُلقي إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنّة. وليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة ـ أي لينة سهلة ـ نالت مطراً غزيراً فتشربت جميع أجزائها وأذعنت لقبوله، ومهما أشار إليه المعلم بطريق في التعلم فليتبعه، وليترك رأيه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها. فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له به)[2]. وقد قال الإمام الشافعي: (لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس، وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح)[3]. قال الشافعي:

اصبر على مُرِّ الجفا من معلِّم
فإنَّ رسوبَ العلم في نَفَراتِه
ومن لم يَذُق مُرَّ التعلم ساعةً
تجرَّع ذُلَّ الجَهلِ طول حياتِهِ
ومن فَاتَهُ التعليمُ وقتَ شبابه
فكبِّرْ عليه أربعاً لوفاتِهِ[4]

وقد قال علي كرم الله وجهه: (من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة وتخصه بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تُشيرنَّ عنده بيديك، ولا

(١) سورة ق: الآية ٣٧.
(٢) إحياء علوم الدين [١/٥٠ ـ ٥١].
(٣) المجموع [١/٣٥].
(٤) ديوان الشافعي ص [٢٩].

تعمد بعينيك غيره. . . وإن كانت له حاجة سبقتَ القوم إلى خدمته، ولا تشبع من طول صحبته. . .)[1].

ولا بدّ لطالب العلم أن لا يفرق بين شيخ مشهور، وآخر خامل غير معروف، بل يأخذ من الجميع. قال الغزالي: (فالاستنكاف عن الاستفادة إلّا من المرموقين المشهورين هو عين الحماقة، فإن العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهرباً من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل)[2]. فقد قال ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها إليه»[3]، وفي رواية أخرى عند الترمذي: «الكلمة الحكيمة ضالّة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»[4].

ومن أدبه مع أستاذه الصمت الكثير، والاستماع الشديد، والتسليم والصبر وعدم تكرار شيء فهمه عنده، وعدم الإكثار من الأسئلة التي قد فهم جوابها. فقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما لابنه مؤدباً إياه: (يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك)[5].

وقد أشارت قصة الخضر وموسى عليهما السلام إلى أن التعلم لا يتحقق إلّا بالصبر والتسليم والسكوت حيث قال لموسى عليه السلام: ﴿إنَّكَ لَنْ تستطيعَ مَعِيَ صبراً * وكيفَ تَصْبرُ على مَا لَم تُحِطْ بِه

---

(١) المجموع [١/٣٦]، وأخلاق العلماء ص [٦٢].

(٢) إحياء علوم الدين [١/٥٠].

(٣) الحديث رواه القضاعي في مسنده مرفوعاً. انظر: المقاصد الحسنة ص [١٩١].

(٤) انظر: سنن الترمذي، مع تحفة الأحوذي، كتاب العلم [٧/٤٥٨]؛ وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب الحكمة [٢/١٣٩٥].

(٥) راجع العلم بين يدي العالم والمتعلم ص [٥١].

خُبراً ﴾[1]. ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال: ﴿ فإنِ اتَّبعتَني فلاَ تسألني عن شيءٍ حتَّى أُحْدِثَ لكَ منه ذِكْراً ﴾[2].

وهنا يثور سؤال وهو أن السؤال مطلوب بقوله تعالى: ﴿ فاسْأَلُوا أهلَ الذكرِ إنْ كُنتم لا تَعْلَـمُون ﴾[3].

فالجواب أن قولك هذا صحيح لكنه فيما يحتاج إليه الشخص لا فيما لم يصل عقله إليه قال تعالى: ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تَسْأَلُوا عن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤْكُمْ وإنْ تَسْأَلُوا عنها حينَ ينزل القرآن تبد لكم... ﴾[4]، فقد نهى عن كثرة السؤال وبيَّن وقت السؤال. قال علي كرم الله وجهه: (إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشي له سراً، ولا تغتابن أحداً عنده، ولا تطلبن عثرته، وإن زلـل قبلت معذرتـه. وعليك أن تـوقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى، ولا تجلس أمامه. وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته)[5].

ومن أدبه مع أستاذه عدم المماراة معه. قال ميمون بن مهران: (لا تمار من هو أعلم منك، فإنك إذا فعلت ذلك خزن عنك علمه ولا تضره شيئاً). وقال أحمد بن عمر بن الضحاك: (لا أحب أن يحضر مجلسي مبتدع، ولا طعان، ولا لعان، ولا فاحش، ولا بذيء، ولا منحرف)[6].

ومن أدبه في درسه أن يصون نفسه عن التلهي بغير الدرس، ويحفظ

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) سورة الكهف: الآية ٧٠.

(٣) سورة النحل: الآية ٤٣.

(٤) سورة المائدة: الآية ١٠١.

(٥) إحياء علوم الدين [١/٥١].

(٦) راجع العلم بين يدي العالم والمتعلم ص [٥١].

يديه عن العبث والتشبيك بها، وعينيه عن كثرة التقليب إلى هنا وهناك، وأن يتقي المزاح وكثرة الضحك. قال الشافعي رحمه الله: (كنت أصفح الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحاً رقيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها)[1]. وقال حمدان الأصفهاني: (كنت عند شريك رحمه الله فأتاه بعض أولاد الخليفة المهدي، فاستند إلى الحائط، وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه، وأقبل علينا، ثم عاد فعاد لمثل ذلك، فقال: أتستخف بأولاد الخلفاء؟ فقال شريك: لا، ولكن العلم أجلُّ عند الله تعالى من أن أضعه، فجثا على ركبتيه فقال شريك: هكذا يطلب العلم)[2].

الأدب الرابع:

اختيار أستاذ كامل في العلم والتقوى

فقد قال العلماء: لا بد أن يأخذ طالب العلم علمه ممن كملت أهليته، وظهرت ديانته، وتحققت معرفته، واشتهرت صيانته، ولا يكفي أن يكون كثير العلم فقط بل لا بد وأن يكون له دربة، ودين وخلق جميل وذهن صحيح واطلاع تام. فقد قال ابن سيرين ومالك وخلائق من السلف: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)[3]، وقالوا: ولا تأخذوا العلم ممن كان أخذه له من بطون الكتب من غير قراءة على شيخ حاذق، فمن لم يأخذه إلاّ عن الكتب يقع في التصحيف، ويكثر منه الغلط والتحريف[4].

الأدب الخامس:

أدبه في الاستفادة والتحصيل

فقد أنشد الإمام الشافعي في هذا المعنى فقال:

---

(١) المجموع [١/٣٦].

(٢) المجموع [١/٣٦].

(٣) إحياء علوم الدين [١/٥١].

(٤) المجموع [١/٣٦].

أخـي لـن تـنـال الـعـلمَ إلاَّ بـسـتـة
سأُنـبئـك عـن تـفـصيـلهـا بـبـيـان
ذكـاءٌ، وحـرصٌ، واجـتـهـادٌ، وبُـلْغـة
وصُـحـبـةُ أُسـتـاذٍ، وطُـول زمـان(١)

ولا بـدّ لطالب العلم الالتزام بما يأتـي:

أ ـ تسجيل الفوائد:

وذلك بأن يصاحبه دائماً قلم ودفتر ليكتب كـل فائـدة يسمعها أو يستنبطها هو من خلال درسه واستذكاره، فقد قيل: العلم صيد والكتابة قيد.

ب ـ اتـخاذ الصـاحب الصالح الجاد:

ولا بد أن لا يصاحب الصديق السيء أو الكسلان، فقد قيل:
لا تـصـحـب الـكـسـلان فـي حـالاتـه
كـم صـالـحٍ بـفـسـادِ آخـرَ يَـفْـسُـدُ
عـدوى البليـد إلى الـجليـد سـريعـةٌ
كـالجمـر يـوضـع في الـرمـاد فَيَخمـدُ(٢)

جـ ـ التفـرغ الكـامـل:

قـال الشـافعـي:
ولا يـنـال الـعـلم إلاَّ فـتـى
خـال مـن الأَفـكـار والـشـغـلِ
لـو أَن لـقـمـان الـحـكـيـم الـذي
سـارت بـه الـركـبـان بـالـفـضـلِ

(١) ديوان الشافعي ص [٨١].
(٢) انظر العلم بين يدي العالم والمتعلم ص [١٧].

بُلي بفقر وعيالٍ لما
فرق بين التبن والبقل[1]

د ـ ترك الهموم:

ومن الأمراض القاتلة لذكاء الإنسان الهموم الكثيرة والتفكر فيها. قال الشافعي:

سهرتْ أعينٌ ونامتْ عيون
في أُمور تكون أو لا تكون
فادرأْ الهمَّ ما استطعتَ عن
النفس فحملانكَ الهموم جنون
إنَّ ربّاً كفاكَ بالأمس ما كان
سيكفيك في غدٍ ما يكون[2]

هـ ـ النشاط في المدارسة والمراجعة والمناظرة:

فقد كان الإمام إلكيا الهراسي يراجع درسه تسعين مرة[3]، وكان أبو يوسف يناظر الفقهاء وهو جائع لمدة خمسة أيام[4].

الأدب السادس:

إتقان طريقة واحدة حميدة ثم التشعب

فلا بدّ لطالب العلم في بداية طريقه أن يحترز الخوض عن الاختلافات، وكثرة العلوم، بل لا بدّ أن يتدرج في العلوم واحداً بعد واحد. وينبغي أن يتقن الطريقة الحميدة الواحدة المرضية لدى أستاذه، ثم بعد ذلك يتشعب فيصغي إلى الخلاف والمذاهب والشبه، يقول الغزالي:

---

(١) ديوان الشافعي ص [٧١].

(٢) المصدر السابق ص [٨٥].

(٣) طبقات الشافعية الكبرى [٢٣٢/٧].

(٤) تعليم المتعلم ص [٤٢].

(وإن لم يكن أستاذه مستقلاً باختيار رأي واحد، وإنما عادته نقل المذاهب، وما قيل فيها فليحذر منه؛ فإن إضلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم)[1].

الأدب السابع:

عدم الاقتصار على علم واحد

ولا بد لطالب العلم بعد أن أتقن بعض العلوم أن لا يكتفي به، بل يحاول ليكون واسع الاطلاع منهوماً لا يشبع من الاستزادة في العلوم. فلا يدع فناً من العلوم النافعة إلّا وينظر فيه نظراً عميقاً ليصل به إلى مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلّا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وأخذ طرفاً من كل العلوم، لأن العلوم متعاونة، وبعضها مرتبط ببعض. قال الغزالي: (يستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله؛ فإن الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى: ﴿ وإذْ لم يهتَدُوا به فسيقُولونَ هذا إفْكٌ قديم ﴾[2]. فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك...)[3].

الأدب الثامن:

عدم الخوض في فن من الفنون دفعة واحدة

وذلك بأن يراعي الترتيب ويبتدأ بالأهم فالأهم، فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه، ويكتفي منه بقدر المستطاع لكنه يتخصص في العلم الميسور لديه والمحبذ عنده. فلا

---

(١) إحياء علوم الدين [١/٥١]. وهذا الرأي من الإمام الغزالي بمثابة تحذير شديد من التقليد دون الدليل، ودعوة إلى ضرورة مصاحبة ومتابعة من هو مستقل في تفكيره وعلمه.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ١١.

(٣) إحياء علوم الدين [١/٥٢].

يكلف نفسه في العلم الذي لا تتجه إليه نفسه وقلبه، ومع ذلك فاعلم أن أشرف العلوم معرفة الله تعالى ومعرفة كتابه وسنته وما يتعلق بهما، ثم ما يتعلق بحاجات الناس من طب وصناعة وزراعة وحساب)[1].

ولا بدّ أن يلاحظ الترتيب المعقول بين العلوم، فبعضها طريق إلى بعض، والموفَّق هو من راعى ذلك الترتيب والتدريج.

الأدب التاسع:

عدم تحقير أي علم من العلوم

قال الغزالي: (لا ينبغي له - أي لمن تعلم علماً شريفاً كالعلم المتعلق بالآخرة والكتاب والسنّة أو الفقه - أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم، أعني علم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنّة وغير ذلك مما هو فرض كفاية على الأمة. ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم. فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله. فمنهم المقاتل، ومنهم الردء، ومنهم الذي يسقيهم الماء، ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم، ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم، فكذلك العلماء قال الله تعالى: ﴿ يَرفَعِ الله الذينَ آمنُوا مِنْكُم والذينَ أُوتُوا العِلْمَ درجاتٍ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ هم درجَاتٌ عندَ الله ﴾[3]، والفضيلة نسبية...)[4]. ومن قصد الله تعالى بالعلم - أي علم كان - نفعه ورفعه لا محالة.

---

(١) المصدر السابق باختصار ص [١/٥٢ - ٥٣].

(٢) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦٣.

(٤) إحياء علوم الدين [١/٥٣].

الأدب العاشر:

أدبه عند درسه

فيدخل في الدرس بكامل الهيبة، فارغ القلب من الشواغل، فيسلم على الحاضرين كلهم بصوت يُسمعهم، ويخص الشيخ بزيادة إكرام. ثم يجلس حيث انتهى به المجلس ولا يتخطى رقاب أصحابه إلّا أن يصرح له الشيخ أو الحاضرون بالتقدم والتخطي. فقد روى البخاري بسنده عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»[1].

ولا يقيم أحداً من مجلسه، فإن آثره غيره بمجلسه لم يأخذه إلّا أن يكون في ذلك مصلحة للحاضرين بأن يكون في ذلك فائدة لهم. ولا يجلس وسط الحلقة إلّا لضرورة، ولا بين صاحبين إلّا برضاهما، ويحرص على القرب من الشيخ بدون أذى أحد ليفهم كلامه فهماً كاملاً. ويتأدب مع رفقته وحاضري المجلس؛ فإن تأدبه معهم تأدب مع أستاذه واحترام لمجلسه، فلمجلس الدرس حريم مقدس لا يجوز انتهاكه. ويجلس بأدب وتواضع جلوس المتعلمين لا جلوس المعلمين. ولا يرفع صوته كثيراً من غير حاجة، بل يقبل على أستاذه مستمعاً إليه، فلا يسبقه إلى شرح مسألة أو جواب سؤال. ويبدأ درسه ببسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، والصلاة على رسوله وآله وأصحابه الكرام، ثم الدعاء للعلماء، ومشائخه ووالديه وسائر المسلمين. ويبكر في درسه فإن في الوقت المبكر البركة والصفاء.

---

(١) صحيح البخاري، مع فتح الباري، كتاب العلم [١٥٦/١].

ومما ينبغي له أن يلاحظ أحوال شيخه فلا يقرأ عند اشتغال قلبه بشيء، أو عند ملله وغمه ونعاسه، ولا يلح في السؤال بل يتلطف فيه. ولا يسأله عن شيء في غير موضعه لكنه لا يستحي من الأسئلة النافعة في أوقاتها. وإذا قال له الشيخ: هل فهمت؟ فلا يقول: نعم إلّا وهو فاهم، فلا يستحي من قوله: لا أدري، أو لا أفهم. قال مجاهد: (لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر)[1]، وقالت عائشة رضي الله عنها: (نِعْمَ النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)[2]، وقال الخليل بن أحمد: (منزلة الجهل بين الحياء والأنفة)[3].

الأدب الحادي عشر:

الحرص والمواظبة والخلق الكريم

وينبغي لطالب العلم أن يكون حريصاً على التعلم مواظباً عليه في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً، حضراً وسفراً، ويحافظ على أوقاته فلا يذهب منها شيء في غير العلم إلّا بقدر الضرورة للأكل والشرب والراحة والرياضة، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أشد الناس حرصاً على أخذ العلم من الرسول ﷺ. فهذا أبو هريرة يسأل رسول الله ﷺ عن كل جزئية، حتى سأله مرة فقال: من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيتُ من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إلّه إلّا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»[4]. وقد قال الإمام الشافعي: (والناس في العلم طبقات، فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله تعالى في إدراك

---

(١) و (٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم [١/٢٢٨].

(٣) راجع المجموع للنووي [١/٢٦ ـ ٣٧].

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث [١/١٩٣].

علمه نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه، فإنه لا يُدرك خير إلّا بعونه)[1].

ويجب على طالب العلم ترك الكسل والتواني، فقد قال يحيى بن أبي كثير: (لا يستطاع العلم براحة الجسم)[2]. وقد قيل: (من طلب شيئاً وَجَدَّ وَجَدَ، ومن قرع الباب وَلَجَّ وَلَجَ). قال الشاعر:

بقدر الكدِّ تُكتَسبُ المعالي
ومن طلبَ العُلى سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلاً
يغوص البحرَ من طلب اللآلي[3]

وعليه أن يحفظ العلوم، فإن الحفظ ولا سيما في الصغر كالنقش في الحجر.

ومما ينبغي له اختيار الأوقات والأماكن للحفظ والدرس قال الخطيب البغدادي: (أجود أوقات الحفظ الأسحار، ثم نصف النهار، ثم الغداة. وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع. وأجود أماكن الحفظ الغرف، وكل موضع بعيد عن الملهيات، وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار وقوارع الطرق، لأنها تمنع غالباً خلو القلب)[4].

وفي مميزات الحفظ يقول الإمام الشافعي:

علمي معي حيثُما يمَّمْتُ ينفعني
قلبي وعاءٌ له لا بطنُ صندوق

---

(١) الرسالة للإمام الشافعي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ط. مكتبة دار التراث ص [١٩].

(٢) المجموع [١/٣٧].

(٣) راجع العلم بين يدي العالم والمتعلم ص [١٨].

(٤) المجموع [١/٣٧].

إن كنتُ في البيتِ كـانَ العلمُ فيـه معي
أو كنتُ في السوق كان العلم في السوق[1]

الأدب الثاني عشر:

الصبر والحلم والأناة

فلا بدّ لطالب العلم أن يكون صبوراً متحمـلاً أذى شيخه ـ إن كان ـ فيصبر على جفاه ولا يصده ذلك عن ملازمته، بل هو يعتذر إليه ويلطف الجو بما يرضي شيخه بالمعروف. قال النووي: (من لم يصبر على ذل التعلم بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آلَ أمره إلى عز الآخرة والدنيا، ومنه الأثر المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذللتَ طالباً فعززتَ مطلوباً)[2].

وأن يتأدب بالحلم، ويتحلى بالهدوء والأناة. فلا يوجد أدب أفضل من الحلم مع العلم، فقد قال عطاء بن يسار: (ما آوى شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم). وقال إبراهيم بن أدهم: (ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم، إذا تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم. يقول الشيطان: انظروا إليه كلامه أشد عليَّ من سكوته)[3].

وأن تكون همته عالية، فلا يرضى بـاليسير من العلم مـع إمكان الكثيـر. وأن لا يؤخر واجبـات يومـه لغده، ولا يغفـل عن استحضـاره للدروس، ولا يضيع وقته، فقد قال الربيع تلميذ الإمام الشافعي: (لم أر الشافعي آكلاً بنهار ولا نائماً بليل لاهتمامه بالتصنيف)[4]. قال الخطيب:

(١) ديوان الشافعي ص [٦٧].

(٢) المجموع [١/٣٧ ـ ٣٨].

(٣) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ص [٢٢٣]؛ والعلم بين يدي العالم والمتعلم ص [٤٠].

(٤) المجموع [١/٣٧ ـ ٣٨].

(وإذا وجده نائماً لا يستأذن عليه بل يصبر حتى يستقيظ أو ينصرف)[1]، فالهمة والصبر والمصابرة من أهم وسائل النجاح في التعلم. قيل للإمام الشعبي: (من أين لك هذا العلم كله؟ قال: ينبغي الاعتماد والسير في البلاد، وصبر كصبر الجمال، وبكور كبكورِ الغراب).

وقد حكى لنا حبر الأمة وترجمان القرآن ـ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ـ كيف وصل إلى هذه المنزلة بعد توفيق الله تعالى له وبركة الرسول ﷺ عليه حيث دعا له بقوله: «اللهم علمه الكتاب»[2]، قال: (لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: يا عجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟! قال ابن عباس: فتركتُ ذاك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنه كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل ـ أي نائم في نصف النهار ـ فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ هلا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك. قال: فأسأله عن الحديث. قال ابن عباس: فعاش الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني فقال: هذا الفتى كان أعقل مني)[3].

الأدب الثالث عشر:

الخروج في طلب العلم

فقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله أن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رحل مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد[4]. قال

---

(١) المجموع [١/٣٨].

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم [١/١٦٩].

(٣) راجع العلم بين يدي العالم والمتعلم ص [٢٠].

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم [١/١٧٣ ـ ١٧٥].

جابر: بلغني عن رجل حديث سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيراً، ثم شددت رحلي فسرت إليه شهراً حتى قدمت الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل: جابر على الباب، فقال: ابن عبدالله، قلت: نعم. فخرج فاعتنقني، فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ فخشيت أن أموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله الناس يوم القيامة عراة»[(١)].

فهذا دليل على أن الرحلة في طلب العلم قد بدأت في وقت مبكر جداً، ولم يكن رحلة جابر لسماع الحديث هي الأولى، بل كان كثير من الصحابة قد رحل بعضهم إلى بعض لأجل المزيد من العلم. فقد رحل أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر الجهني لسماع حديث الستر على المسلم، ورحل صحابي آخر إلى مصر لسماع أحاديث من فضالة بن عبيد، ورحل عبيد الله بن عدي إلى علي كرم الله وجهه في العراق لأن يأخذ منه العلم[(٢)]. وقال ابن مسعود: (لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني لرحلت إليه)[(٣)].

وأما التابعون ومن بعدهم فرحلاتهم في طلب العلم وسماع الحديث أشهر من أن تذكر، فقد روى الخطيب عن أبي العالية قال: (كنا نسمع من أصحاب رسول الله ﷺ فلا نرضى حتى خرجنا إليهم فسمعنا منهم)[(٤)]. وقيل للإمام أحمد: (رجل يطلب العلم يلزم رجلاً عالماً عنده علم كثير خير له، أو يرحل؟ قال: يرحل، يكتب عن علماء الأمصار، فيشافه الناس ويتعلم منهم)[(٥)]. ويقول سعيد بن المسيب: (إني كنت لأسير الليالي

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: رواه البخاري في الأدب المفرد، وله طريق أخرى أخرجها الطبراني. فتح الباري [١/ ١٧٤].

(٢) فتح الباري [١/ ١٧٥].

(٣) و (٤) و(٥) فتح الباري [١/ ١٧٥].

والأيام في طلب حديث واحد)[١]. ويقول الإمام الشافعي:

تَغَــرَّبْ عـن الأَوطــان فـي طـلبِ الـعُـلَى
وســافــر فـفـي الأســفــار خمس فــوائــد

تــفــرُّجُ هــمٍّ، واكــتــســابُ مــعيشــة
وعــلمٌ، وآدابٌ، وصــحــبــةُ مــاجــدِ[٢]

الأدب الرابع عشر:

طلب العلم من الصغر وعدم تركه في الكبر

ولا بد لطالب العلم أن يغتنم التحصيل في الصغر، فقد روي عن الحسن البصري أنه قال: (طلب العلم في الصغر كالنقش في الحجر)[٣]، وقال الحسن بن علي: (تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم تكونوا كبارهم غداً، فمن لم يحفظ فليكتب). فوقت الصغر وقت النشاط والفراغ وعدم الانشغال بالدنيا ومشاغلها ولذلك يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: (تفقهوا قبل أن تسودوا)[٤]، قال البخاري بعد أن ذكره: (وبعد أن تسودوا، وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم)[٥].

وقد أراد الخليفة عمر رضي الله عنه أن الرئاسة والسيادة قد تكون سبباً لمنع التعلم، فالرجل المسؤول ينشغل بأمور الناس، فلا يبقى لديه الوقت الكافي للتعلم. ومن جهة أخرى فالإنسان إذا ساد قد يمنعه الكبر والاحتشام أن يجلس مجلس المتعلمين، ولهذا قال مالك عن عيب القضاء: (إن القاضي إذا عزل لا يرجع إلى مجلسه الذي كان يتعلم فيه).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ص [١١٣].

(٢) ديوان الشافعي ص [٤١].

(٣) انظر: كشف الخفا ومزيل الإلباس [٢/ ٨٥].

(٤) صحيح البخاري، مع فتح الباري، كتاب العلم [١/ ١٦٥].

(٥) صحيح البخاري [١/ ١٦٥].

وقد قال أبو عبيدة: معناه: تفقهوا وأنتم صغار قبل أن تصيروا سادة فتمنعكم الأنفة عن الأخذ عمن هو دونكم فتبقوا جهالاً[1]. وقال الشافعي: (تفقه قبل أن ترأس، فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه)[2]. فوقت الصغر والحداثة هو من أحسن الأوقات للحفظ والتحصيل، فقد روى الإمام محمد بن سحنون بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «من تعلم القرآن في شبيبته اختلط القرآن بلحمه ودمه، ومن تعلمه في كبره وهو يتفلّت منه ولا يتركه فله أجره مرتين»[3].

ولا بد للمتعلم أن لا يرضى بما لديه من العلم ـ مهما كان كثيراً ـ فالعلم من المهد إلى اللحد، وإذا ذهب يومه ولم يزدد فيه علماً فليعتبر أن هذا اليوم قد ذهب بدون فائدة له وأن الله تعالى يحاسبه عليه، ويحاسبه على عمره فيما أفناه: ﴿ ثُمَّ لَتُسأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عن النَّعيم ﴾[4]. وأمامنا قصة في القرآن الكريم تبين لنا أن المتعلم لا بد أن يطلب المزيد مهما بلغ من العمر، ومهما كان له من العلم والرئاسة حتى النبوة إنها قصة نبي الله موسى عليه السلام مع خضر عليه السلام. فقد ذهب موسى عليه السلام ـ وهو نبي الله ومن أولي العزم وقد كلمه الله تكليماً ـ إلى الفتى خضر حتى يعلمه، فقال موسى للخضر عليهما السلام: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ على أَنْ تُعلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمتَ رُشْداً ﴾[5]، وذلك لما علم موسى أن خضر أعلم منه. فقد روى البخاري[6] وغيره بسندهم عن أُبيّ بن كعب قال:

---

(١) فتح الباري [١/١٦٥ ـ ١٦٦].

(٢) المجموع [١/٣٨].

(٣) آداب المعلمين لابن سحنون، تحقيق د. محمود عبد المولى، ط. الجزائر ص [٧٢].

(٤) سورة التكاثر: الآية ١١.

(٥) سورة الكهف: الآية ٦٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب العلم، مع فتح الباري [١/١٦٧].

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا. فأوحى الله تعالى إلى موسى: بلى، عندنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه...» حتى وصل إليه، ولما وصل وطلب منه أن يعلمه قال له خضر: ﴿ فإنْ اتَّبعْتَنِي فلا تسألني عن شيءٍ حتّى أُحدِثَ لكَ منه ذِكْرَاً ﴾[1]، فقد اشترط خضر على موسى عليهما السلام الصبر والتسليم والسكوت فقبل موسى عليه السلام شروطه وعلقها بمشيئة الله تعالى فقال: ﴿ سَتجِدُني إنْ شَاء الله صَابِراً ولا أَعْصِي لكَ أمرَاً ﴾[2]. فقد بيَّن موسى وخضر عليهما السلام شروط التعلم والتعليم وهي: الصبر والتسليم والطاعة والسكوت.

الأدب الخامس عشر:

أدب الحفظ والمذاكرة

وينبغي لطالب العلم أن يعتني بدرسه فيقوم بتحضيره ومراجعته ثم فهمه وهضمه بنفسه أو بواسطة شيخه، ويعتني بتصحيح درسه الذي يحفظه تصحيحاً متقناً على الشيخ، ثم يحفظه حفظاً محكماً، ثم بعد الحفظ لا يتركه بل يردده دائماً حتى يترسخ رسوخاً مؤكداً، ويداوم على تكرار محفوظاته. ولا يحفظ من الكتب استقلالاً، بل يصحح على الشيخ، فالاستقلال بذلك من أضر المفاسد، وإلى هذا أشار الشافعي رحمه الله بقوله: (من تفقه من الكتب ضيَّع الأحكام)[3]. فأهم شيء في الحفظ الفهم التام، وحفظ الكلمات بعد نطقها سليماً من حيث النحو والصرف.

ثم فليذاكر بمحفوظاته، وليعمق الفكر فيها، وليهتم بالفوائد التي يحصل عليها من شيخه، وليرافق بعض حاضري الدرس ليتذاكروا معاً، قال

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٠.

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٩.

(٣) المجموع [١/ ٣٨].

الخطيب البغدادي: (وأفضل المذاكرة مذاكرة الليل، وكان جماعة من السلف يفعلون ذلك، وكان جماعة منهم يبدأون من العشاء فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح)[1]. يقول الإمام الشافعي:

سَهَري لتنقيح العلومِ أَلَذُّ لي
من وصل غانية وطيب عِناقِ

وصريرُ أقلامي على صفحاتها
أحلى من الدَّوْكاءِ والعُشّاقِ[2]

وأَلَذُّ من نَقْرِ الفتاةِ لدفِّها
نَقْري لأُلقي الرمل عن أوراقي

وتمايلي طرباً لحل عويصةٍ
في الدرس أشهى من مُدامة ساق

وأبيتُ سهرانَ الدُجا وتبيته
نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي[3]

وقال:

والجِدُّ يُدني كل أمر شاسع
والجد يفتح كل باب مغلق[4]

وينبغي أن يبدأ في دروسه وحفظه ومذاكرته بالأهم فالأهم، فأول ما يبتدىء به القرآن العظيم، وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلاّ لمن حفظ القرآن[5]. وإذا حفظ فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الدوكاء: هو الحجر الذي يسحق به الطيب. لكن المراد بالدوكاء والعشاق هنا: مقامان من المقامات الغنائية العراقية. انظر القاموس مع هامشه [٣١٣/٣] مادة (داكه).

(٣)، (٤) ديوان الشافعي ص [٦٤، ٦٥].

(٥) المجموع [٣٨/١].

وغيرهما اشتغالاً يؤدي إلى نسيان شيء منه.

وبعد حفظ القرآن الكريم يبدأ بمبادىء اللغة فيحفظ من كل فن مختصراً. قال النووي: (ويبدأ بالأهم، ومن أهمها الفقه والنحو والحديث والأصول، ثم الباقي على ما تيسر، ثم يشتغل باستشراح محفوظاته، ويعتمد من الشيوخ في كل فن أكملهم في الصفات السابقة... وإذا بحث المختصرات انتقل إلى بحث أكبر منها مع المطالعة المتقنة والعناية الدائمة المحكمة، وتعليق ما يراه من النفائس والغرائب وحل المشكلات مما يراه في المطالعة أو يسمعه من الشيخ، ولا يحتقرن أي فائدة بل يبادر إلى كتابتها، ثم يواظب على مطالعة ما كتبه. وليلازم حلقة الشيخ إلى أن يتمكن هو من العلوم أو يأذن له شيخه في التدريس. وينبغي أن يرشد رفقته وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال والفائدة، ويذكر لهم ما استفاده على جهة النصيحة والمذاكرة، وبذلك يبارك الله تعالى في علمه ويستنير قلبه، وتتأكد له المسائل معه مع جزيل الثواب)[1].

فإذا فعل ذلك وتكاملت أهليته وعلومه يبدأ بالاشتغال بالتدريس، والتصنيف، وجدَّ في الجمع والتأليف متوجهاً بعمله هذا رضاء الله تعالى، متثبتاً في نقله واستنباطه، متحرياً إيضاح العبارات وبيان المشكلات، مجتنباً العبارات الركيكات وبذلك يدخل في طور العالم الذي نذكر الآن آدابه بإذن الله تعالى.

---

(١) المجموع [١/٣٧ - ٣٨].

ثانياً: آداب العالم

لقد سمَّى الله تعالى معلمي هذه الأمة بالربانيين، فقال في كتـابه الكريم: ﴿ . . . ولكنْ كُونُوا ربَّانيينَ ﴾[1]، فقد ذكر البخاري تعليقاً: أن الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، كما ذكر عن ابن عباس أن معناه كونوا: حلماء فقهاء[2]. وذكر الطبري عدة معان منها: كونوا حكماء علماء، ومنها: حكماء أتقياء، ثم قال: وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين يربي أمور الناس بتعليمه إياهم الخير، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم. فالرباني هو الجامع إلى العلم والفقه البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الناس وما يصلحهم في دينهم ودُنياهم[3].

وقال الغزالي: (فمن علم وعمل وعلَّم فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السموات فإنه كالشمس تضيء لغيرها، وهي مضيئة في نفسها، وكالمسك الذي يطيب غيره، وهو طيب)[4]. فالاشتغال بالتعليم والتربية أمر عظيم وخطير، فمن اختاره الله له فقد وضع في عنقه أمانة عظيمة، وقلده أمراً خطيراً، وورث مهمة الأنبياء والصالحين. فقد روى ابن ماجه بسنده أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين إحداهما

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، مع فتح الباري [١/١٦٠].

(٣) تفيسر الطبري، تحقيق الشيخ أحمد شاكر [٦/٥٤٢ ـ ٥٤٤].

(٤) إحياء علوم الدين [١/٥٥].

يقرأون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلمون، فقال النبي ﷺ: «كلٌّ على خير. هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلماً»، فجلس معهم(١).

وقد جعل الرسول ﷺ مهمة التعليم والتعلم كالجهاد في سبيل الله، فقد قال رسول الله ﷺ: «من جاء مسجدي هذا لم يأته إلاَّ لخير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله....»(٢). ولذلك ذكر العلماء آداباً كثيرة ووظائف هامة للعالم نذكرها هنا بإيجاز.

الأدب الأول:

أدبه مع نفسه وعلمه مع مراقبة الله تعالى

وذلك بأن يقصد بتعليمه وتدريسه وتربيته وجه الله تعالى، فلا يبتغي من وراء ذلك غرضاً دنيوياً كتحصيل مال أو جاه أو شهرة أو سمعة أو وظيفة، فقد قال الشافعي رحمه الله: (وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على أن لا يُنسب إليَّ حرف منه)(٣). وقد قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى: (يا قوم أريدوا بعلمكم الله؛ فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أتواضع إلاّ لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلاّ لم أقم حتى أفتضح)(٤).

وينبغي للعالم أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها وبالخلال الحميدة والشيم المرضية التي حثّ الشارع عليها فيكون زاهداً في الدنيا، وهذا لا يعني ترك الدنيا وإنما المراد أن يحافظ على دينه وهيبته فتتعلق الدنيا والمال بيديه لا بقلبه وتفكيره. وأن لا يطغى الطمع على قلبه فإن

---

(١) سنن ابن ماجه، المقدمة [١/٨٣].

(٢) رواه ابن ماجه بسند صحيح على شرط مسلم [١/٨٣] الحديث رقم (٢٢٧).

(٣) و (٤) المجموع [١/٢٨].

الطمع لن يأتي إلّا بالذل، قال الشافعي:

أَمــتُّ مــطامــعِــي فــأَرَحْــتُ نــفــســي
فــإنَّ الــنــفسَ مــا طــمــعــتْ تــهــونُ
وأَحْــيَــيْــتُ الــقــنــوعَ وكــانَ مــيــتــاً
فــفــي إحــيــائــهِ عــرضٌ مــصــونُ
إذا طــمــعُ يــحــلُّ بــقــلــب عــبــدٍ
عَــلَــتْــهُ مــهــانــةٌ وعــلاه هــونُ[1]

وأن يكون طليق الوجه حليماً صابراً نزيهاً ملازماً للورع والخشوع والسكينة والوقار والتواضع. مجتنباً الضحك الكثير، فإنه يميت القلب. مبتعداً عن كثرة المزاح فإنها تزيل الهيبة. مجتنباً كل الاجتناب عن الحقد والحسد والرياء والإعجاب بالنفس، واحتقار الناس وإن كانوا دونه بدرجات.

وينبغي أن يحافظ على مظهره الخارجي فيكون نظيفاً طيب الرائحة مهتماً بتنظيف الإبط وإزالة الروائح الكريهة من جسمه، ومهتماً بتسريح شعر رأسه ولحيته، ويلبس أحسن ثيابه، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»[2].

وبالجملة فلا بد للعالم الالتزام الكامل بالآداب الشرعية الظاهرة والخفية حتى يكون قدوة صالحة لمن يعلمه، وحتى يتحقق فيه قول الرسول ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه»، فيجعل الله تعالى أمام عينيه في كل أعماله في سره وعلانيته فيحافظ على الفرائض والنوافل وقراءة القرآن.

ومما هو ضروري للعالم أن لا يُذل العلم، ولا يذهب به إلى المتعلم مهما كان كبيراً إلّا للضرورة، فإن الشعار الذي أطلقه السلف الصالح هو:

---

(١) ديوان الشافعي ص [٨٦].

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان [١/ ٩٣].

(العلم يُؤتى إليه ولا يأتي إلى أحد)[1]. فقد كان الخلفاء يطلبون العلماء ليأتوا إليهم حتى يعلموهم أو يعلموا أبناءهم، فكان جوابهم: كلا، على الخليفة أن يأتي إذا كان يريد العلم حفاظاً على قدسية العلم[2]. يقول الإمام الشافعي:

هِمَّتي هِمَّةُ الملوكِ ونَفسي
نفسُ حُرٍّ ترى المذَلَّةَ كفراً
وإذا ما قَنعتُ بالقوت عمري
فلماذا أزورُ زيداً وعمراً[3]

ويقول أيضاً:

عليَّ ثيابٌ لو تباعُ جميعُها
بفَلْسٍ فكانَ الفلْسُ منهن أكثرا
وفيهن نَفْسٌ لو تقاس ببعضها
نفوسُ الورى كانت أجلَّ وأكبرا
وما ضرَّ فصلَ السيف إخلافُ غَمْده
إذا كان عضْباً حيثُ وَجَّهْتَهُ فرى[4]

فالعالم عزيز النفس وإن كان قليل المال فلا يهين نفسه وعلمه في سبيل المال.

---

(١) انظر المقاصد الحسنة للحافظ السخاوي، ط. مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٣٧٥هـ، ص [٢٨٨].

(٢) وروي أن الإمام مالك رحمه الله قال للخليفة هارون الرشيد: (أدركتُ أهل العلم يؤتون ولا يأتون، ومنكم خرج العلم وأنتم أولى الناس بإعظامه، ومن إعظامكم له أن لا تدعو حملته إلى أبوابكم).

وقال للمهدي حين استدعاه لولديه ليسمعا منه: (العلم أولى أن يوقَّر ويُؤتى).

المقاصد الحسنة ص [٢٨٨] وراجع المجموع [١/٢٩].

(٣) و (٤) ديوان الشافعي [٤٢، ٤٣، ٤٤].

إذا أَظْمَأَتْكَ أكفُّ اللئام
كفتْكَ القناعةُ عزّاً وفخراً
فكنْ رَجُلاً رِجْلُهُ في الثرى
وهامَّةُ همتِهِ في الثريا[1]
فإنَّ إرَاقَةَ ماءِ الحياةِ
دونَ إراقةِ ماءِ المُحَيَّا

وقد شجع الإمام الشافعي على الخروج من البلد الذي تشعر فيه بُذلٍّ العلم إن لم تستطع أن تعيد إليه عزه فقال:

ارحلْ بنفسِك مِن أرضٍ تُضام بها[2]
ولا تكنْ من فراقِ الأهلِ في حرقِ
والكحلُ نوعٌ من الأحجارِ تَنْظُرُهُ
في أرضِهِ وهو مَرْميٌّ على الطرق
لما تَغَرَّبَ حازَ الفضلَ أجمعَهُ
فصارَ يُحملُ بين الجَفْن والحَدَقِ[3]

وقد حكي عن الفُضَيْل بن عياض أنه قال: (إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا). وقال الحسن البصري: (عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة). ويقول سفيان الثوري: (نعوذ بالله من فتنة الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون)[4]. وقال علي كرم الله وجهه: (قصم ظهري

---

(١) أدب الطلب للشوكاني، ط. دار الأرقم ص [١٦٥].
(٢) الضيم: الضرر والظلم والذل. المصباح [٢/ ١٤]، والقاموس مادة (ضام).
(٣) ديوان الشافعي ص [٦٣].
(٤) المجموع [١/ ٢٩].

رجلان: عالم متهتك، وجاهل متنسك، فالجاهل يغرِ الناس بتنسكه، والعالم يغرهم بتهتكه)[1].

الأدب الثاني:

أدبه في درسه واشتغاله

فينبغي للعالم أن لا يغفل عن العلم والاستذكار والاستحضار فيبقى مجتهداً مشتغلاً بالعلم قراءة وإقراء، ومطالعة وتعليقاً، ومباحثة وتحقيقاً وتصنيفاً. ولا يألو جهداً في المزيد من المعلومات والتعمق في العلوم، فقد قال ابن عون: (ثلاث أحبهن لي ولإخواني: هذا القرآن يتدبره الرجل ويتفكر فيه فيوشك أن يقع على علم لم يكن يعلمه، وهذه السنّة يتطلبها ويسأل عنها، ويذر الناس إلاّ من خير. . .)[2].

ولا يستنكف من التعلم ممن هو دونه. قال سعيد بن جُبير: (لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون)[2]. قال النووي رحمه الله: (فقد كان كثير من السلف يستفيدون من تلامذتهم ما ليس عندهم)[3]. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿لم يَكُنِ الذينَ كَفَرُوا﴾ على أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه وقال: «أمرني الله أن أقرأ عليك»[4]. فلم يقرأ الرسول ﷺ على أبيٍّ ليزداد حفظاً وإتقاناً وإنما كان إرشاداً منه لأمته بأن لا يمنعهم الكبر والحياء من أن يتعلموا ممن هو دونه. قال النووي: (فاستنبط العلماء من هذا فوائد منها: بيان التواضع، وأن الفاضل لا يمنع عن القراءة على المفضول)[5].

---

(١) إحياء علوم الدين [٥٨/١].

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص [٣٥].

(٣) و (٣) المجموع [٢٩/١].

(٤) انظر صحيح البخاري مع الفتح.

(٥) المجموع [٢٩/١].

الأدب الثالث:

أدبه مع تلامذته

فلا بد للمعلم أن يكون أدبه مع تلامذته كالآتي:

وذلك بأن يضعهم موضع أولاده، فقد قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده»[(١)]، فيعلمهم الإخلاص والصدق وحسن النية ومراقبة الله تعالى بجانب تعليمهم العلوم، ويرغبهم في العلم، ويحرضهم على استغلال الوقت.

وينبغي أن يكون سمحاً مشفقاً عليهم معتنياً بمصالحهم. يعذرهم فيما لو بدا منهم شيء يفوح منه رائحة سوء الأدب، ويحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه. قال ابن عباس: (أكرم الناس عليَّ جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إليَّ، لو استطعت ألا يقع الذباب على وجهه لفعلت)، وفي رواية عنه: (إن الذباب يقع عليه فيؤذيني)[(٢)].

ولا بد للعالم أن لا يفرق بين أولاد الفقير والغني، فقد روى محمد ابن سحنون بسنده عن سيف بن محمد قال: كنت جالساً عند سعد الخفاف فجاءه ابنه يبكي. فقال: يا بني ما يبكيك؟ قال: ضربني المعلم. قال: أما والله لأحدثنكم اليوم: حدثني عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «شرار أمتي معلموا صبيانهم أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين»[(٣)]. فقد بين الرسول ﷺ أن الشر يأتي إليهم من هذا الثغر، وإلّا فإن معلمي الصبيان هم خيار الأمة، وهم ربانيّها كما فسر بذلك قوله تعالى: ﴿ كُونوا ربَّانيينَ ﴾[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه في ص [٢٧].

(٢) المجموع [١/ ٣١].

(٣) آداب المعلمين لابن سحنون ص [٧٦].

(٤) يراجع صحيح البخاري، كتاب العلم [١/ ١٦٠].

جواز الضرب وآداب أخرى:

قال محمد بن سحنون: ولا بأس أن يضرب تلامذته الصغار ضرباً ـ لا على الرأس والوجه ـ على البطالة وعدم قراءة القرآن. ولا يضرب أكثر من ثلاث عصيات، فقد روى بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «أدب الصبي ثلاث درر»[1]، وقال ﷺ: «يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق»[2].

وقد ذكر محمد بن سحنون بأنه لا بد للمعلم أن لا ينشغل عنهم، ويتعاهدهم بنفسه، ويسأل عن الذي غاب عن الدرس فيخبر وليه بذلك فوراً. وأنه ينبغي أن يتفرغ لهم، ويجعل لهم وقتاً للكتابة، ويعلمهم الحساب والشعر والعربية والخط وإعراب القرآن. ويعلمهم على تنظيم أمورهم وتقسيم أوقاتهم للقراءة والكتابة، فليس هناك شيء أفيد لأمور الدنيا من التنظيم، فسر التقدم يكمن في التنظيم. وأن يعيد الدرس عليهم، ويعيِّن يوماً مخصوصاً للمراجعة من كل أسبوع مثل يوم الخميس. ولا يجوز للمعلم أن يشغل الطلبة بمصالحه الخاصة[3].

وينبغي للعالم أن لا يتكبر على المتعلمين ولا يتعظم عليهم بل يلين لهم قال النووي: وفي الحديث: «لينوا لمن تُعلِّمون، ولمن تتعلمون منه»[4].

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يُكني أصحابه إكراماً لهم. . .»[5].

---

(١) آداب المعلمين ص [٧٦، ٨١]، والدرة: عصا صغيرة.

(٢) المصدر السابق ص [٧٨].

(٣) راجع آداب المعلمين لابن سحنون الصفحات [٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٨٥].

(٤) المجموع [١/ ٣١].

(٥) المجموع [١/ ٣١].

وقد وصَّى رسول الله ﷺ الكثير بطلبة العلم، فقد روى ابن ماجه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال ﷺ: «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحباً مرحباً بوصية رسول الله ﷺ واقنوهم ـ أي علموهم ـ»[1]. وروى أيضاً عن أبي هريرة أنه قال: دخلنا على رسول الله ﷺ حتى ملأنا البيت وهو مضطجع لجنبه فلما رآنا قبض رجليه ثم قال: «إنه سيأتيكم أقوام من بعدي يطلبون العلم فرحبوا بهم، وحيوهم وعلموهم»[2]. وقال ﷺ: «فاستوصوا بهم ـ أي بطلبة العلم ـ خيراً»[3]. وقال ﷺ: «علِّموا ولا تعنِّفوا»[4].

ولا بد للعالم أن يتحلى بالإنصاف معهم ومع غيرهم، فقد سأل رجل علياً عن مسألة فقال فيها، فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال علي: (أصبتَ وأخطأتُ وفوق كل ذي علم عليم)[5]. ولا تخفى علينا قصة عمر مع العجوز حيث أراد عمر أن يجعل حداً أقصى ـ وهو مهور بنات الرسول ﷺ ـ لمهور النساء جميعاً فاعترضت عليه عجوز فقالت: ليس لك هذا فقد قال الله تعالى: ﴿ وآتيتُم إحدَاهُنَّ قِنْطَاراً ﴾[6] فقال عمر: (أصابتْ إمرأة وأخطأ عمر). وفي رواية أخرى قال: (كل الناس أفقه منك يا عمر)[7].

وينبغي أن يكون حريصاً على تعليمهم مهتماً بهم مؤثراً درسهم على حوائج نفسه ومصالحه ما لم تكن ضرورة. ويحسن إليهم بعلمه وماله وجاهه حسب التيسير. ولا يخاطب الفاضل منهم باسمه بل بكنيته. ويحاول

---

(١)، (٢)، (٣) سنن ابن ماجه، المقدمة [١/ ٩٠ ـ ٩٢].

(٤) رواه الطيالسي في مسنده، والبيهقي في المدخل. انظر: المقاصد الحسنة ص [٢٨٩].

(٥) تفسير القرطبي، ط. دار الكتب، [١/ ٢٨٧].

(٦) سورة النساء: الآية ٢٠.

(٧) تفسير القرطبي [٥/ ٩٩].

جاهداً لإيصال الفائدة إلى أذهانهم وتقريبها منها متحرياً أيسر الطرق لتفهيمهم. وينبغي أن يعلمهم الخوف من الفتوى وعدم الاجتراء على شرعه تعالى، وأن يدربهم على قول: لا أدري.

الأدب الرابع:

عدم أخذ الأجر على الدرس.

فالأولى للعالم أن يقتدي برسول الله ﷺ فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد من ورائها جزاءً ولا شكوراً، بل يعلم الناس لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَا أسألُكم عَليه مِنْ أجرٍ إنْ أجْرِيَ إلاَّ على ربِّ العالمين ﴾[١]. ومع ذلك إنْ أخَذَ الأجر فله ذلك بل قال ابن سحنون: (إن ذلك ضرورة لا بد للناس منه)[٢].

الأدب الخامس:

أدب النصح

فلا يدع العالم النصح لتلميذه، قال الغزالي: (وذلك بأن يمنعه عن التصدي لرتبة قبل استحقاقها، والاشتغال بعلم خفي قبل الفراغ من الجليّ، وأن ينبهه على أن الغرض هو التقرب إلى الله تعالى لا المباهاة والرياسة والمنافسة)[٣]. ويكون ليناً في نصحه وزجره، فلا يصرح بالاسم فيما إذا صدر عنه شيء مخالف للأخلاق، بل بطريق التعريض والعموم، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ؛ فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة والهيبة، ويورث الجرأة على الهجوم[٤].

---

(١) تكررت هذه الآية في سورة الشعراء وحدها على ألسنة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - خمس مرات، وهي الآيات: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٧٠.

(٢) آداب المعلمين ص [٩١].

(٣) إحياء علوم الدين [١/٥٦].

(٤) المصدر السابق [١/٥٧].

الأدب السادس:

أدب التدرج معهم

ينبغي للعالم المربي أن ينظر بتعمق إلى تلميذه فيزن عقله وذكاءه وقوة إدراكه فيتدرج معه على قدر فهمه. فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله اقتداءً بسيد البشر حيث يقول: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم»[1].

وقد ترجم البخاري رحمه الله بابين من صحيحه، أولهما: باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، والباب الثاني: من جعل لأهل العلم أياماً معلومة[2]، ثم أورد أحاديث لتثبيت هذين الأدبين العظيمين. منها ما رواه بسنده عن ابن مسعود قال: (كان النبي يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)[3]. كما روى: أن ابن مسعود كان يُذكّر الناس في كل يوم خميس[4].

فلا بد للعالم أن يلاحظ هذه الآداب النبوية العظيمة عند تصديه لمهمة التربية والتعليم ولذلك تطرق إلى هذا الموضوع الإمام محمد بن سحنون (ت ٢٥٦هـ) فقال: (لا بد أن يأذن للصبيان في الأعياد، ثم ذكر: ثلاثة أيام للفطر، وثلاثة أيام للأضحى، أو خمسة أيام)[5]. وقال أيضاً: (ويجعل لعرض القرآن وقتاً معلوماً مثل يوم الخميس وعشية الأربعاء، ويأذن

---

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء [٥٧/١]: هذا الحديث رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر أخصر منه، وعند أبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها: «أنزلوا الناس منازلهم».

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، مع فتح الباري [١٦٢/١ - ١٦٣].

(٣) صحيح البخاري [١٦٢/١].

(٤) صحيح البخاري [١٦٣/١].

(٥) آداب المعلمين، تحقيق د. محمود عبد المولى. ط. الجزائر ص [٨٠].

لهم في يوم الجمعة، وذلك سنّة المعلمين منذ كانوا ولم يعب ذلك عليهم)[1].

فمعرفة التلميذ وما يتناسب معه من العلوم، وكيفية تعليمه بالشكل الذي يستفيد منه لأمر هام وخطير يتبع فقه الشيخ وبصيرته. فبقدر ما يكون ماهراً في هذا الحقل يكون ناجحاً في التربية والتعليم. قال الغزالي: (إن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به، ولا يذكر له شيخه بعد ذلك أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي، ويشوش عليه قلبه، ويوهم إليه البخل به عنه. **وبهذا يُعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع، ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل، وحَسُنَ مع ذلك سريرته، ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده)**[2].

الأدب السابع:

الأدب مع الكتب

وقد اعتبر السلف الصالح الكتاب خير جليس للمرء فقد قيل لعالم: أما تستوحش؟ فقال: كيف أشعر بالوحشة وكل الأنس معي؟! فقيل: وما الأنس كله؟ قال: الكتاب. وقد قال أحد الفضلاء: الله أكبر ما أجمل الكتاب من أنيس تؤدبك عجائبه، وتسرك طرائفه، وتضحك ملحه ونوادره، وهو نزهة الأديب عند لذته، ومتعته عند خلوته، وتحفته عند نشاطه، وأنسه عند انبساطه، ومستراحه من همه، ومسلاته من غمه، وعوضه من جليس السوء، وسخف الأماني، ومستقبح الشهوات، وهو روضة مجلسه، وبستان يده، وأنيس يتقلب معه.

فلأهمية الكتاب لا بد للعالم أن يعتني به ويحاول أن يجمع من كل فن ما يحتاج إليه، ولا سيما المصادر الهامة الأصيلة. فيشتري ويستعير

(١) المصدر السابق ص [٨٣].

(٢) إحياء علوم الدين [١/٥٧ - ٥٨].

وينسخ بيده كل ما يحتاج إليه. فسلاح العالم كتبه، وروضته مكتبته، ففيها يرتع فكره ويسعد قلبه.

ومما ينبغي للعالم أن لا يمنع كتبه عن تلامذته ورواده. ومما ينبغي لطالب العلم أيضاً أن لا يبطىء في رد كتاب شيخه أو كتب غيره إلى أصحابها حتى لا يفوت الانتفاع على أصحابها. ولئلا يكسل عن تحصيل الفائدة منه؛ ولئلا يمتنع من إعارته مرة أخرى، فقد جاء في ذم الإبطاء برد الكتب المستعارة عن السلف أشياء كثيرة. فقد نقل عن الزهري رحمه الله أنه قال: (إياك وغلول الكتب ـ وهو حبسها عن أصحابها ـ). وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: (ليس من أفعال أهل الورع، ولا من أفعال الحكماء أن يأخذ سماع رجل وكتابه فيحبسه عنه، ومن فعل ذلك فقد ظلم نفسه)[1]. قال الخطيب البغدادي: (وبسبب حبسها امتنع غير واحد من إعارتها)[2].

قال النووي: (والمختار استحباب الإعارة لمن لا ضرر عليه في ذلك، لأنه إعانة على العلم مع ما في مطلق العارية من الفضل. وروينا عن وكيع: أول بركة الحديث إعارة الكتب، وعن سفيان الثوري: من بخل بالعلم ابتُلي بإحدى ثلاث: أن ينساه، أو يموت ولا ينتفع به، أو تذهب كتبه...)[3]. ويستحب شكر المعير وإعادة كتابه بعد الإفادة منه بدون تأخير، لأن عطل الكتاب عن صاحبه ظلم، والله أعلم.

والله أسأل أن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يثبتنا على طريق الحق والاستقامة، ويوفقنا لخدمة الإسلام إنه حسبي ومولاي فنعم المولى ونعم النصير.

---

(١) المجموع [١/ ٣٩].

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المجموع [١/ ٤٠].

السبب في كتابة الغزالي هذه الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّد وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.

اعْلَمْ أَنَّ وَاحِداً مِنَ الطَّلَبَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ[1]، لَازَمَ خِدْمَةَ الشَّيْخِ الْإِمَامِ زَيْنِ الدِّينِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ أَبِي حَامِد مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيِّ رَحِمَهُ اللَّه[2]. وَاشْتَغَلَ بِالتَّحْصِيلِ وَقِرَاءَةِ[3] الْعِلْمِ عَلَيْهِ، حَتَّى جَمَعَ دَقَائِقَ الْعُلُومِ، وَاسْتَكْمَلَ فَضَائِلَ[4] النَّفْسِ.

ثُمَّ إِنَّهُ تَفَكَّرَ يَوْماً فِي حَالِ نَفْسِهِ، وَخَطَرَ عَلَى بَالِهِ فَقَالَ: إِنِّي قَرَأْتُ أَنْوَاعاً مِنَ الْعُلُومِ، وَصَرَفْتُ رَيْعَانَ عُمْرِي عَلَى تَعَلُّمِهَا وَجَمْعِهَا، وَالآنَ[5] يَنْبَغِي أَنْ أَعْلَمَ أَيَّ نَوْعِهَا يَنْفَعُنِي غَداً

---

(١) في «و»: (المستفيدين).

(٢) في «ط»: (قدس الله روحه). ومثل هذه الأمور لا ننبه عليها مرة أخرى.

(٣) في «و»: (وقرأ). أي بالفعل وهو أيضاً جائز.

(٤) في «ط»: (من دقائق)، وكذلك في (من فضائل...).

(٥) في «ط»: (فالآن).

ويُؤنسني[1] فِي الآخِـرةِ؟ وَأَيُّهَا لَا يَنْفَـع[2] حَتَّى أَتْرُكَـهُ؟؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»[3].

فَاسْتَمَرَّتْ لَهُ هٰذِهِ الْفِكْرَةُ حَتَّى كَتَبَ إِلَى حَضْرَةِ الشَّيْخِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - اسْتِفْتَاءً، وَسَأَلَ عَنْهُ مَسَائِلَ، وَالْتَمَسَ مِنْهُ نَصِيحَةً وَدُعَاءً. قَالَ: وَإِنْ كَانَتْ[4] مُصَنَّفَاتُ الشَّيْخِ كَالْإِحْيَاءِ وَغَيْرِهِ يَشْتَمِلُ عَلَى جَوَابِ مَسَائِلِي، لَكِنَّ مَقْصُودِي أَنْ يَكْتُبَ الشَّيْخُ حَاجَتِي فِي وَرَقَاتٍ[5] تَكُونُ مَعِي مُدَّةَ حَيَاتِي

---

(١) في «ط»: (ويؤانسني). أي من باب المفاعلة التي تدل على المشاركة مع أنها غير مقصودة.

(٢) في «ط»: (لا ينفعني)، وفي «و» زيادة (واعلم...).

(٣) هذا جزء من حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه، وأبو داود والترمذي وابن ماجه، والنسائي بسندهم عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «... اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها».
ونسخة «و» ذكرت الحديث كاملاً لكن بلفظ: «... ومن دعاء لا يسمع... أعوذ بك من هؤلاء الأربع». وهذا لفظ الترمذي وقال: حسن صحيح.
انظر: صحيح مسلم، كتاب الذكر [٢٠٨٨/٤]؛ وسنن أبي داود مع العون، كتاب الوتر [٤٠٧/٤]؛ والترمذي مع التحفة، كتاب الدعوات [٤٥٣/٩]؛ وابن ماجه، المقدمة [٩٢/١]؛ والنسائي [٢٢٨/٨]؛ ومسند أحمد [٤٩٩/٢].

(٤) في «ط» و«ل»: (كان). وهو أيضاً جائز لأن الفاعل مؤنث غير حقيقي.

(٥) في «ل»: (رقوق). وهي جمع رق بالكسر والفتح، وهو الجلد الذي يكتب فيه. المصباح المنير [٢٥٢/١].

وَأَعْمَلُ بِمَا فِيهَا[1] مُدَّةَ عُمْرِي إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَـى.

فَكَتَبَ الشَّيْخُ هٰذِهِ الرِّسَـالَةَ[2] إِلَيْهِ فِي جَوَابِهِ.

* * *

---

(١) هكذا في «ط» و«ل»، وفي «و» و«س»: (وأعمل بها...).

(٢) لم ترد (إليه) في «ل».

رسالة الولدية للامام العالم العلامة شيخ الاسلام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي
قدس الله سره بسم الله الرحمن الرحيم ونفعنا ببركاته

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلوة والسلام على
نبيه محمد وآله اجمعين اعلم ان واحدا من الطلبة المستفيدين
لازم خدمة الشيخ الامام زين الدين حجة الاسلام ابي حامد محمد
بن محمد الغزالي رحمه الله تعالى واشتغل بالتحصيل وقرأ العلم عليه
حتى جمع من دقايق العلوم واستكمل من فضايل النفس ثم انه تفكر
يوما في حال نفسه وخطر على باله فقال اني قرأت انواعا من العلوم
وصرفت ريعان عمري على تعلمها وجمعها والآن ينبغي ان اعلم اي
اي اول الشباب ١٢
نوعها ينفعني غدا في الآخرة ويؤنسني في قبري واعلم الذي لا ينفع
حتى اتركه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك
من علم لا ينفع فاستمرت له هذه الفكرة حتى كتب الى حضرة الشيخ حجة
الاسلام محمد بن محمد الغزالي رحمه الله تعالى استفتاء وسأل عنه مسائل
والتمس منه نصيحة ودعاء ليقرأه قال وان كان مصنفات الشيخ
كالاحياء وغيره تشتمل على جواب مسائلي لكن مقصودي ان يكتب
مثل منهاج العابدين وبداية الهداية ١٢
الشيخ حاجتي في ورقات تكون معي مدة حياتي واعمل بها مدة عمري
ان شاء الله تعالى فكتب الشيخ هذه الرسالة في جوابه بسم الله
الرحمن الرحيم ايها الولد العزيز والمحب المخلص اطال الله
بقاءك بطاعته وسلك بك سبيل احبائه ان منشور النصيحة

ومن قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع
ومن نفس لا تشبع
اعوذ بك من هؤلاء الاربع اهـ

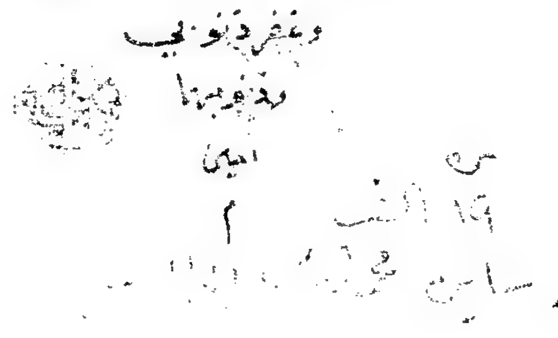
يكتب

الصفحة الأولى من النسخة «و»

وخفف عنا ثقل الأوزار، وارزقنا عيشة الأبرار،
واكفنا واصرف عنا شر الأشرار، واعتق رقابنا ورقاب
آبائنا وأمهاتنا ومشايخنا من النار، برحمتك يا عزيز
يا غفار، يا كريم يا ستار، يا حليم يا جبار، يا الله يا الله
يا الله، يا رحمن يا رحيم، يا أرحم الراحمين، وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلام على
المرسلين، والحمد لله رب العالمين، آمين



الصفحة الأخيرة من النسخة «و»



صحيفة العنوان من نسخة «ل»

ورق
٣٧ ورقة

تصوف
٢١٨٧

عدة كراريس
٣

كتاب الولد
لحجة الإسلام
الغزالي
رحمه الله

ويليه وصية الإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه

عدة كراريس
ثلاثة ونصف

٢٥ جملة

١٢٦٧
١٩٢٥

صحيفة العنوان من نسخة «د»





تأليف

حُجّة الإسلام محمّد بن محمّد أبي حامد الغزّالي

«٤٥٠ - ٥٠٥ هـ»

تحقيق وتعليق

علي محيي الدين علي القره داغي



بسم الله الرحمن الرحيم

اعْلَمْ أَيُّهَا الوَلَدُ الْمُحِبُّ الْعَزِيزُ أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَقَاءَكَ بِطَاعَتِهِ، وَسَلَكَ بِكَ سَبِيلَ أَحِبَّائِهِ أَنَّ مَنْشُورَ النَّصِيحَةِ يُكْتَبُ مِنْ مَعْدِنِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، إنْ كَانَ قَدْ بَلَغَكَ مِنْهُ نَصِيحَةٌ فَأَيُّ حَاجَةٍ لَكَ فِي نَصِيحَتِي؟ وَإِنْ[1] لَمْ تَبْلُغْكَ فَقُلْ لِي: مَاذَا حَصَّلْتَ فِي هٰذِهِ السِّنِينَ الْمَاضِيَةِ؟!...

أيها الولد...

مِنْ جُمْلَةِ مَا نَصَحَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ قَوْلُهُ: «عَلاَمَةُ إعْرَاضِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ اشْتِغَالُهُ بِمَا لاَ يَعْنِيهِ، وَإِنَّ امْرأً ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنْ عُمُرِهِ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ لَجَدِيرٌ أَنْ تَطُولَ عَلَيْهِ حَسْرَتُهُ، وَمَنْ جَاوَزَ الأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ شَرَّهُ فَلْيَتَجَهَّزْ إِلَى النَّارِ»[2].

---

(١) في «س»: (فإن).

(٢) الجزء الأول من هذا الحديث رواه الأئمة: مالك وأحمد والترمذي وابن =

وَفِي هَـذِهِ النَّصِيحَةِ كِفَايَةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ.

أيّها الولد...

النَّصِيحَةُ سَهْلٌ، وَالْمُشْكِلُ قَبُولُهَا؛ لِأَنَّهَا فِي مَذَاقِ[1] مُتَّبِعِي الْهَوَى مُرٌّ. إِذِ الْمَنَاهِي مَحْبُوبَةٌ فِي قُلُوبِهِمْ، عَلَى الْخُصُوصِ لِمَنْ[2] كَانَ طَالِبَ الْعِلْمِ الرسمي[3] مُشْتَغِلاً فِي فَضْلِ النَّفْسِ وَمَنَاقِبِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ يَحْسَبُ أَنَّ الْعِلْمَ الْمُجَرَّدَ لَهُ[4] سَيَكُونُ نَجَاتُهُ

= ماجه، بسندهم أن رسول الله ﷺ قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». قال النووي: حديث حسن.

ومعنى الحديث: أن المسلم الكامل الواعي يعرف كيف يعمل، وماذا يقول؟ ويدرك أنه مسؤول عن كل صغيرة أو كبيرة تصدر منه. ويؤمن بأن الله تعالى يسأله عن كل ذلك ﴿إنَّ السَّمعَ والبصرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئكَ كانَ عنه مَسؤُولاً﴾ (سورة الإسراء: ٣٨). لذلك يترك ما لا يعنيه من قول وفعل، ويتجه إلى ما يعنيه وينفعه في الدنيا والآخرة. قال العلاَّمة القاري: (أي يترك ما لا يهمه، ولا يليق به قولاً وفعلاً ونظراً وفكراً). قال الغزالي: (وحدُّ ما يعنيك أن تتكلم بما لو سكتَّ عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال ولا مال).

انظر: الموطأ، ط. الشعب ص [٥٦٣]؛ ومسند أحمد [٢٠١/١]؛ وسنن الترمذي مع تحفة الأحوذي، كتاب الزهد [٦٠٧/٦ ـ ٦٠٩]؛ وابن ماجه، كتاب الفتن [١٣١٦/٢].

(١) في «س»: (دماغ).

(٢) في «س»: (من).

(٣) في «و» و «ل» و «د» و «ط»: (علم). ولم يرد (الرسمي) في «ط».

(٤) في «س» زيادة: (وسيلة). والعلم المجرد هو العلم بدون عمل قال تعالى: ﴿يا أيُّهـا الذينَ آمنوا لِمَ تَقُولونَ ما لاَ تَفْعَلون * كَبُرَ مقتاً عندَ اللّهِ أنْ تقولُوا ما لاَ تفعلون﴾ (سورة الحشر: ٢ ـ ٣).

وَخَلاَصُهُ فِيهِ، وَأَنَّهُ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَمَلِ، وَهٰذَا اعْتِقَادُ الْفَلاَسِفَةِ[1].

سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ!! لاَ يَعْلَمُ هٰذَا الْقَدْرَ أَنَّهُ حِينَ حَصَّلَ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ تَكُونُ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ آكَد، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشَدُّ النَّاس عَذَاباً يَوْم الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لاَ يَنْفَعُهُ اللَّهُ بِعِلْمِه»[2].

وَرُوِي أَنَّ الْجُنَيْد[3] قَدَّس اللَّه روحه رُئِيَ فِي الْـمَنَامِ بَعْدَ

---

(١) الفلاسفة هم العلماء الذين خاضوا في غمار ما وراء الطبيعة وبحثوا عن الإلٓه والأفلاك والعقول للوصول إلى حقائق الأشياء. والفلاسفة القدماء قد أخطأوا في أمور كثيرة كفرهم الغزالي بثلاثة منها وفسقهم بعشرين.
انظر: التعريفات للسيد ص [٦٠]؛ وتهافت الفلاسفة للغزالي، تحقيق د. سليمان دنيا، ط. دار المعارف الخامسة ص [٧٦]؛ والمنقذ من الضلال، ط . دار الكتب الحديثة ص [١٠٣ ـ ١٢٩].

(٢) قال الحافظ السيوطي: رواه الطبراني في الأوسط، وابن عدي في الكامل، والبيهقي في شعب الإيمان، ورواه ابن عساكر بلفظ: «أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه، ورجل علم علماً فانتفع به من سمعه منه دونه».
انظر: الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للسيوطي، ط. دار الكتب العربية [١/١٨٧]؛ وكشف الخفا [١/١٤٥].

(٣) في «ل»: (جنيداً). وهو الجنيد بن محمد بن محمد بن الجنيد البغدادي منشأً وولادةً، والنهاوندي الأصل. كان سيد الطائفة ومقدم الجماعة وشيخ طريقة التصوف، وعَلَم الأولياء في زمانه. تفقه على أبي ثور، وسمع الحديث من الحسن بن عرفة، فكان عالماً فقيهاً متكلماً يحضر مجلسه جميع فئات الشعب لعلمه وفصاحته وأدبه ودينه. قال ابن الأثير: (كان إمام الدنيا في زمانه).
وقال ابن كثير: (ولازم التعبد ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة، وتكلم على طريقة الصوفية... ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش ففتح الله=

مَوْتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا الْخَبَرُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ؟ قَالَ: (طَاحَتْ الْعِبَارَاتُ،

= عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره في زمانه. وكان يعرف سائر فنون العلم، وإذا شرع فيها لم يكن له فيها وقفة ولا كبوة. ولما حضرته الوفاة جعل يصلي ويتلو القرآن. فقيل له: لو رفقت بنفسك في مثل هذا الحال؟ فقال: لا أحد أحوج إلى ذلك مني الآن، وهذا أوان طي صحيفتي).

ويعتبر الشيخ الجنيد رحمه الله من كبار الصوفيين الحقيقيين والزهاد الأتقياء. فقد أرجع الصوفية إلى الالتزام الكامل بالإسلام، فقد قال مرة: (**مذهبنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يُقتدى به في مذهبنا وطريقتنا**). ومن كلامه: (الطريق إلى الله مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ). و(المروءة احتمال زلل الإخوان). وقيل له: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: (توبة تحل الإصرار، وخوف يزيل العزة، ورجاء قوي إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله في خواطر القلوب). وقال: (الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد، واستصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب، والخشوع خذلان القلوب لعلام الغيوب).

وكان يشجع مريديه على قراءة أو سماع الحكايات والقصص فقال في تعليل ذلك: الحكايات جند من جنود الله يقوي بها قلوب المريدين لأن الله يقول: ﴿وكُلاًّ نَقصُّ عليكَ مِنْ أنباءِ الرُّسُل مَا نثبِّتُ به فُؤادَكَ﴾ (سورة هود: آية ١٢٠).

فظل سيدنا الجنيد عالماً معلماً مربياً يتخرج على يديه دعاة الحق، لا ينشغل بقلبه ولسانه عن ذكر الله تعالى وتسبيحه، والتضرع إليه. فكانت يده مشغولة بالتجارة، وقلبه مع الله تعالى إلى أن لقي ربه وهو ساجد، في سنة ٢٩٨ وقيل سنة ٢٩٧.

انظر: ترجمته المستفيضة في طبقات الشافعية الكبرى [٢/ ٢٦٠ - ٢٧٥]؛ وتاريخ بغداد [٢٤١/٧]؛ وحلية الأولياء [٢٥٥/١٠]؛ والرسالة القشيرية ص [٢٤]؛ وطبقات الصوفية ص [١٥٥]؛ والبداية والنهاية [١١٣/١١]؛ والأعلام للزركلي [١٣٧/٢].

وَفنِيَتْ الْإِشَارَاتُ[1]، وَمَا نَفَعَنَا إِلَّا رَكَعَاتٌ[2] رَكَعْنَاهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ).

أيها الولد...

لَا تَكُنْ مِنَ الْأَعْمَالِ مُفْلِساً[3]، وَلَا مِنَ الْأَحْوَالِ خَالِياً[4]

---

(١) في «ط»: (تلك العبارات... وتلك الإشارات). أي بزيادة (تلك) ولم نجدها في النسخ التي توفرت لدينا. وطاحت: أي سقطت. القاموس المحيط [١/٢٤٧].

(٢) في «ط»: (ركيعات) بالتصغير. وهي مكبرة في النسخ الأربع لدينا.

(٣) وقد فسر الرسول ﷺ المفلس في حديث رواه مسلم في صحيحه والترمذي وغيرهما بسندهم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي، من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».
انظر: صحيح مسلم، كتاب البر [٤/١٩٩٧]؛ والترمذي مع التحفة، كتاب القيامة [٧/١٠١].

(٤) الأحوال جمع حال، وهو في عُرف أهل التصوف معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب أو حزن... فإذا دام صار مقاماً. فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال مشاهدات قلبية لعالم الملكوت، والأسرار تحدث من كثرة العبادة والزهد وكثرة النوافل.
وهي الحالة التي يقول الله تعالى في حقها في حديث قدسي رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه. فإذا=

وَتَيَقَّنْ أَنَّ الْعِلْمَ الْمُجَرَّدَ لَا يَأْخُذُ بِالْيَدِ[1].

مِثَالُهُ لَوْ كَانَ عَلَى رَجُلٍ فِي بَرِّيَّةٍ[2] عَشْرَةُ أَسْيَاف هِنْدِيَّةٍ مَعَ أَسْلِحَةٍ أُخْرَى، وَكَانَ الرَّجُلُ شُجَاعاً وَأَهْلَ حَرْب فَحَمَلَ عَلَيْهِ أَسَدٌ [عَظِيمٌ][3] مَهِيبٌ، فَمَا ظَنُّكَ؟ هَلْ تَدْفَعُ الأَسْلِحَةُ شَرَّهُ عَنْهُ بِلَا اسْتِعْمَالِهَا وَضَرْبِهَا؟!.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهَا لَا تَدْفَعُ إِلَّا بِالتَّحْرِيكِ وَالضَّرْبِ. فَكَذَا لَوْ قَرَأَ رَجُلٌ مِائَةَ أَلْفِ مَسْأَلَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَتَعَلَّمَهَا، وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا، لَا تُفِيدُهُ إِلَّا بِالْعَمَلِ.

وَمِثَالُهُ [4] أَيْضاً: لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ حَرَارَةٌ وَمَرَضٌ صَفْرَاوِي يَكُونُ عِلَاجُهُ بِالسَّكَنْجَبِينِ وَالكَشْكَابِ فَلَا يَحْصُلُ [5]

= أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه».
انظر: صحيح البخاري، مع فتح الباري، كتاب الرقاق [١١/ ٣٤٠].
وراجع معنى الحال في التعريفات للسيد الشريف ص [٤٤]؛ ورسالة اصطلاحات الصوفية ص [١٣٨].

(١) في «ط»: (لا يأخذ اليد). أي سقط منه الباء. والمراد أن العلم المجرد عن العمل لا يأخذ بيد صاحبه إلى طريق النجاة.

(٢) البرية: الصحراء. المصباح [١/ ٤٩].

(٣) لم ترد الزيادة في «و» و«ل».

(٤) في «ط»: (ومثله).

(٥) في «ل» (يصل). مع وجود ما في النسخ بالهامش.

الْبُرْءُ [1] إِلَّا بِاسْتِعْمَالِهِمَا.

گَـرْمَـیْ دُو هَـزَار بَـار بِیـمَـایِـي
تَـامَیْ نَخُورِي نَبَاشَدْتُ شَیـدَایِي [2]

أيها الولد... [3]

وَلَوْ قَرَأْتَ الْعِلْمَ مِائَةَ سَنَةٍ، وَجَمَعْتَ أَلْفَ كِتَابٍ، لَا تَكُونُ مُسْتَعِدّاً لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِالْعَمَلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى [4]: ﴿وَأَنْ لَيْسَ

---

(١) السكنجبين والكشكاب: دواءان مفيدان في علاج الحمى الصفراء.
والبرء: الشفاء. القاموس المحيط [١/٨].

(٢) هذا البيت من الشعر الفارسي أثبتناه من النسخ المتوفرة لدينا بما يكون صحيحاً من حيث المعنى. وفي «ط»: (كرمي دو هزار رطل همي بسيمائي...). والأصح (بيمايي) كما هو المعنى المترجم له لأن المقصود عملية الكيل وهذا يعبر عنه بـ: (بيمايي).
ومعنى البيت على ما أثبتناه: أنك إذا قمت بكيل الخمر ألفي مرة فما دمت لم تشربها لا تكون نشواناً.
وعلى ما في «ط»: لو كلت ألفي رطل من الخمر لم تكن نشواناً إذا لم تشرب. هذا وقد ترجمه المرشد الصالح الشيخ محمد أمين الكردي النقشبندي ـ صاحب تنوير القلوب ـ فقال: إنك لا تشعر بلذة الشيء إلا إذا عالجته وجربته، فالمؤمن لا يحس بحلاوة الإيمان إلا إذا أدى ما عليه نحو الله ونحو عباد الله.
راجع هامش «ط» ص: [٢٦ ـ ٢٧].

(٣) الزيادة لم ترد في «د» و«ط» و«س».

(٤) لم يرد (لقوله تعالى) في «س» و«ل» و«ط». وكذلك (قوله تعالى) قبل الآيات الآتية هنا.

لِلإنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾[1]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾[2]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[3]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُم جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[4]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً ﴾[5].

وَمَا تَقُولُ فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ؟ «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»[6].

وَالْإِيمَانُ: قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَتَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ[7]، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ[8].

---

(١) سورة النجم: الآية ٣٩.
(٢) سورة الكهف: الآية ١١٠.
(٣) سورة التوبة: الآية ٨٢.
(٤) سورة الكهف: الآيتان ١٠٧ ـ ١٠٨.
(٥) سورة الفرقان: الآية ٧٠.
(٦) الحديث متفق عليه رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، مع فتح الباري [١/٤٩]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان [١/٤٨].
(٧) الجنان: بفتح الجيم القلب. المصباح [١/١٢٢].
(٨) أي العمل بالأركان الخمسة السابقة.

وَدَلِيلُ الأَعْمَالِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى، وَإِنْ كَانَ الْعَبْدُ يَبْلُغُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَرَمِهِ، لَكِنْ[1] بَعْدَ أَنْ يَسْتَعِدَّ بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ؛ لأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

وَلَوْ قِيلَ أَيْضاً: يَبْلُغُ بِمُجَرَّدِ الإِيمَانِ[2].

قُلْنَا: نَعَمْ. لَكِنْ مَتَى يَبْلُغُ؟ وَكَمْ مِنْ عَقَبَة كَئُودٍ[3] تَسْتَقْبِلُهُ إِلَى أَنْ يَصِلَ[4]؟.

وَأَوَّلُ[5] تِلْكَ الْعَقَبَاتِ عَقَبَةُ الإِيمَانِ: أَنَّهُ[6] هَلْ يَسْلَمُ مِنَ السَّلْبِ[7] أم لا؟. وَإِذَا وَصَلَ يَكُونُ جنتيّاً[8] مُفْلِساً.

---

(١) في «و»: (ولكن).

(٢) في «س»: سقط (بمجرد الإيمان).

(٣) أي عقبة صعبة وحواجز مانعة. وفي «و»: (كؤدة). ولا حاجة إلى التاء لأنها فعول بمعنى فاعل وهو يستوي فيه المذكر والمؤنث عند عدم الالتباس. القاموس المحيط [١/ ٣٤٤].

(٤) هكذا في النسخ المتوفرة لدينا. وفي «ط»: (ينتقلها إلى أن يصل) وما أثبتناه أصح وأنسب.

(٥) في «ط» و«ل» و«س»: بدون واو.

(٦) في «ط» و«ل» و«س»: (وأنه).

(٧) في «ط» فقط: (من سلب الإيمان). والمراد بسلب الإيمان هو الموت بدون إيمان بعد أن كان مؤمناً، أي يكون مؤمناً ثم يسلب منه الإيمان لعدم إخلاصه. أعاذنا الله تعالى منه وكتب لنا حسن الختام، والموت على الإسلام، والشهادة في سبيله... آمين.

(٨) هكذا في كل النسخ الموجودة عندنا. وفي «ط»: (خائباً). أي يصل بدون زاد ولا سلاح.

وَقَالَ الحَسَنُ البَصرِيُّ رحمه اللَّه[1]: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد الإمام الثقة الفقيه، الزاهد الفصيح. كان أبوه مولى لزيد بن ثابت، وأمه مولاة لأم المؤمنين أم أسامة. ولد في عهد عمر رضي الله عنه، وحنّكه ودعا له، ثم تربى في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ثم جعله الربيع بن زياد ـ والي خراسان في عهد معاوية ـ كاتباً لنفسه، فسكن البصرة وعظمت هيبته في القلوب. فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، ولا يخاف في الحق لومة لائم. وأخذ عنه كثيرون لا يحصون، منهم ابن أبي الدنيا، ومالك بن دينار وغيرهما.
قال مالك بن دينار: قلت للحسن: ما عقوبة العالِم إذا أحب الدنيا؟ قال: (موت القلب، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة، فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى عليه رسمه). وكتب إلى أحد تلامذته: (أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله، والعمل بما علّمك الله، والاستعداد لما وعد الله مما لا حيلة لأحد في دفعه، ولا ينفع الندم عند نزوله. فاحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الجاهلين، وشمر الساق، فإن الدنيا ميدان مسابقة، والغاية الجنة أو النار).
وروي أن الحسن مر على باب أحد الوزراء فرأى القراء جلوساً على بابه، فقال: (طفحتم نعالكم، وبيضتم ثيابكم ثم أتيتم إلى أبوابهم تسعون)، ثم قال لأصحابه: (هؤلاء ليست مجالسهم من مجالس الأتقياء، وإنما مجالسهم مجالس الشُّرَط).
وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال: (من علامات المسلم قوة دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحكم في علم، وحبس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة، وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف وصبر في شدة. لا ترديه ـ أي لا تهلكه ـ رغبته، ولا يبدره لسانه، ولا يسبقه بصره، ولا يغلبه فرجه، ولا يميل به هواه ولا يفضحه لسانه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نيته).
هكذا عاش الحسن البصري رحمه الله فوهب حياته لله تعالى وجاد بالنصح والتوجيه والإرشاد إلى أن لقي ربه في سنة ١١٠ هـ بالبصرة. =

لِعِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ٱدْخُلُوا يَا عِبَادِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَاقْتَسِمُوهَا بِقَدْرِ أَعْمَالِكُمْ)[١].

أيها الولد...

مَا لَمْ تَعْمَلْ لَمْ تَجِدِ الأَجْرَ.

حُكِيَ[٢] أَنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى سَبْعِينَ سَنَةً، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْلُوَهُ[٣] على الْمَلائِكَةِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكاً يُخْبِرُهُ أَنَّهُ مَعَ تِلْكَ الْعِبَادَةِ لَا يَلِيق بِهِ [دُخُولُ الْجَنَّةِ][٤]، فَلما بَلَغَهُ قالَ العَابِدُ: نَحْنُ خُلِقْنَا لِلْعِبَادَةِ، فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ. فَلَمَّا رَجَعَ الْمَلَكُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَاذَا قَالَ عَبْدِي[٥]؟ قَالَ: إِلَهِي... أَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا هُوَ لَمْ يُعْرِضْ عَنْ عِبَادَتِنَا، فَنَحْنُ ـ مَعَ الْكَرَمِ ـ لَا نُعْرِضُ عَنْهُ، أَشْهِدُوا يَا مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُم قَبْلَ

= انظر ترجمته المباركة وآثاره في: البداية والنهاية [٩/٢٦٦ ـ ٢٧٤]؛ وحلية الأولياء [٢/١٣١]؛ وميزان الاعتدال [١/٢٥٤]؛ والأعلام [٢/٢٤٢].

(١) في «ط» و«و» و«ل»: (بأعمالكم).

(٢) في «س» و«ل»: (حكاية).

(٣) أي أن يظهره ويبين مقامه في العبودية والرضا. المصباح [١/١١٦]، مادة (جلا).

(٤) الزيادة لم ترد في «و» و«ل» و«س».

(٥) لم يرد في «س» و«ط» السؤال.

أنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ[١] قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا»[٢]. وَقَالَ عَليٌّ[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ بِدُونِ الْجَهْدِ يَصِلُ فَهُوَ مُتَمَنٍّ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ بِبَذْلِ الْجَهْدِ يَصِلُ فهو مُسْتَغْنٍ). وَقَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (طَلَبُ الْجَنَّةِ بِلاَ عَمَلٍ ذَنْبٌ مِنَ الذُّنُوبِ). وَقَالَ: (عَلاَمَةُ[٤] الْحَقِيقَةِ تَرْكُ مُلاَحَظَةِ الْعَمَلِ لاَ تَرْكُ الْعَمَلِ)[٥].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ

---

(١) لم ترد (أعمالكم) في «س».

(٢) ذكر الترمذي هذا الحديث موقوفاً على عمر حيث قال: ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا). ويروى عن مهران قال: (لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه؟).
انظر: سنن الترمذي مع تحفة الأحوذي، كتاب القيامة [١٥٦/٧]؛ وفي «و» زيادة: (وموتوا قبل أن تموتوا). وهذه الزيادة لم أجد لها سنداً، قال السخاوي: قال شيخنا: إنه غير ثابت.
انظر: المقاصد الحسنة ص [٤٣٦]؛ وكشف الخفا [٤٠٢/٢].

(٣) هو علي بن أبي طالب ابن عمِّ الرسول ﷺ أمير المؤمنين وأول من أسلم من الأطفال، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. تربى في حجر الرسول ﷺ وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد واستشهد سنة ٤٠ هـ.
انظر: الاستيعاب [٢٦/٣]؛ والإصابة بهامشه [٢٦/٣]؛ والبداية والنهاية [٢٢٣/٧].

(٤) في «س» و«و» و«ل»: (عالم الحقيقة).

(٥) أي بأن يعمل كثيراً مع أنه لا يلاحظ عمله ولا ينظر إليه نظرة إعجاب، بل يلاحظ نعم الله عليه وأن الفضل كله يعود إليه.

نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ. وَالأَحْمَقُ مَنِ أتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّه»[1].

أيُّها الولد...

كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ أَحْيَيْتَهَا بِتَكْرَارِ الْعِلْمِ وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ، وَحَرَّمْتَ عَلَى نَفْسِكَ النَّوْمَ؛ لَا أَعْلَمُ مَا كَانَ البَاعِثُ فِيهِ؟ إِنْ كَانَتْ نِيَّتُكَ[2] نَيْلَ عَرَضِ الدُّنْيَا، وَجَذْبَ حُطَامِهَا وَتَحْصِيلَ مَنَاصِبِهَا، وَالْمُبَاهَاةَ عَلَى الأَقْرَانِ وَالأَمْثَالِ فَوَيْلٌ لَكَ ثُمَّ وَيْلٌ لَكَ. وَإِنْ كَانَ قَصْدُكَ فِيهِ إِحْيَاءَ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَهْذِيبَ أَخْلَاقِكَ، وَكَسْرَ

---

(١) هكذا في «س» وهو موافق لنص الحديث. وفي «ط» زيادة: (الأماني). وفي «و»: (المغفرة). وهذا الحديث رواه أحمد والترمذي وابن ماجه لكن بلفظ «العاجز» بدل «الأحمق». قال الترمذي: حديث حسن. ورواه الحاكم وقال: صحيح، لكن رده الذهبي.
انظر: مسند أحمد [١٢٤/٤]؛ وسنن الترمذي مع تحفة الأحوذي، كتاب القيامة [١٥٦/٧]؛ وابن ماجه، كتاب الزهد [١٤٢٣/٢].
أي أن العاقل هو الذي حاسب نفسه وأذلها لله تعالى وحده ولطاعته، وعمل ليوم القيامة. وأما المقصر الذي ليس له عقل فهو من جعل نفسه تابعة لهواها فلم يمنعها من الشهوات ومقارفة المنكرات، ومع ذلك يتمنى على الله الأماني ولا يستحيي من الله تعالى. أي يطلب الجنة وكذلك النعائم من غير عبادة واستغفار. انظر تحفة الأحوذي [١٥٦/٧].

(٢) لم ترد (نيتك) في «ل» و«ط». أي إن كانت نيتك الوصول إلى الدنيا وما فيها من جاه ومال ومنصب، فالخسارة عليك وشدة العذاب لك، لأن العلم أعز من أن يطلب به الدنيا.

النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، فَطُوبَى لَكَ ثُمَّ طُوبَى لَكَ. وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ شِعْراً:

سَهَرُ العُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعٌ
وَبُكَاؤُهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ بَاطِلُ

أيّها الولد...

عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ.

أيّها الولد...

أَيُّ شَيْءٍ حَاصِلٌ لكَ[1] مِنْ تَحْصِيلِ عِلْمِ الكَلَامِ[2]، وَالخِلَافِ[3]،

---

(١) في «و»: (حاصلك). أي بالإضافة وهي تكون بمعنى اللام فيكون المؤدى واحداً.

(٢) علم الكلام: علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، وعن أحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام. والقيد الأخير يخرج به العلم الإلّهي للفلاسفة. وسمي بالكلام لكثرة النزاع والكلام فيه.
انظر: التعريفات للسيد ص [٩٨].

(٣) علم الخلاف: علم يعرف به كيفية تقرير الحجج الشرعية، ودفع الشبه وقوادح الأدلة وترتيب النكت الخلافية. قال البيضاوي: (وهذا مولّد من الجدل الذي هو أحد أجزاء المنطق).
انظر: تعريفات العلوم للبيضاوي، مخطوطة مكتبة البلدية بالإسكندرية ق [١].

وَالطِّبِّ[1]، وَالدَّوَاوِينِ[2] وَالأَشْعَارِ، وَالنُّجُومِ[3]، وَالعَرُوضِ[4]، وَالنَّحْوِ[5]، وَالتَّصْرِيفِ[6] غَيْرُ تَضْيِيعِ العُمْرِ[7]

---

(١) علم الطب: هو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض، لالتماس حفظ الصحة وإزالة المرض، وموضوعه بدن الإنسان. تعريفات العلوم للبيضاوي ق [١ ـ أ].

(٢) الدواوين: جمع ديوان وهو معرب معناه الكتاب الذي يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية، وأول من وضعه عمر رضي الله عنه. ودواوين الشعر هي الكتب التي جمعت فيه أشعار الشعراء، فديوان الشعر ما جمع فيه شعر أحد الشعراء.

انظر: القاموس المحيط [٤/٢٢٥]؛ والمصباح [١/٢١٩].

(٣) علم النجوم: هو علم يعرف به الاستدلال بالتشكيلات الفلكية على الحوادث. تعريفات العلوم للبيضاوي ق [١ ـ ب].

(٤) علم العروض: يعرف به أوزان الشعر صحيحها وفاسدها. تعريفات العلوم ق [١ ـ أ].

(٥) علم النحو: يبحث عن أحوال اللفظ من حيث الإعراب والبناء.

(٦) في «و»: (الصرف). علم الصرف أو التصريف: يبحث عن الكلمة من حيث الإعلال والإبدال.

(٧) لا يقصد حجة الإسلام هنا التقليل من شأن هذه العلوم، أو اعتبارها مضيعة للعمر.. . كلا؛ لأن الإمام نفسه قد صرح في الإحياء [١/١٧] بأن أكثر هذه العلوم من فروض الكفايات. كما أنه صرح أيضاً في الإحياء [١/٥٣] بأنه لا يجوز لطالب علم الآخرة التحقير بعلوم الدنيا فقال: (فلا ينبغي لطالب علم الآخرة أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم، أعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلِّقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلم التي هي فرض كفاية ـ مثل الطب ونحوه ـ. . . فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فمنهم المقاتل، ومنهم الردء، ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم =

بِخِلاَفِ ذِي الجَلاَلِ[1]. إِنِّي رَأَيْتُ فِي الإِنْجِيل أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَال: (مِن سَاعَةِ يُوضَعُ الْمَيِّتُ عَلَى الْجَنَازَةِ[2] إِلَى أَنْ يُوضَعَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ[3] يَسْأَلُ اللَّهُ بِعَظَمَتِهِ مِنْهُ أَرْبَعِينَ سُؤَالاً، أَوَّلُهُ: يَقُولُ: عَبْدِي... طَهَّرْتَ مَنْظَرَ الْخَلْقِ سِنِينَ وَمَا طَهَّرْتَ مَنْظَرِي سَاعَةً. وَكُلّ يَوْمٍ يَنْظُرُ فِي قَلْبِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى[4]: مَا تَصْنَعُ لِغَيْرِي[5] وَأَنْتَ مَحْفُوفٌ بِخَيْرِي! أَمَا أَنْتَ أَصَمُّ لاَ تَسْمَعُ؟!).

أيها الولد...

الْعِلْمُ بِلاَ عَمَلٍ جُنُونٌ، وَالْعَمَلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَكُونُ.

= الذي يحفظ دوابهم... ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله...).

وإنما يقصد الغزالي أنه لا بد للمشتغل بهذه العلوم الدنيوية أن لا ينشغل بها عن ذات الله تعالى وذكره وعبادته وعن تهذيب النفس وتزكية الخلق، والله أعلم.

(١) هكذا في «س» و«ط»، وفي «و» و«ل» و«د»: (بجلال).

(٢) الجنازة قال الأصمعي وابن الأعرابي بكسر الجيم: الميت نفسه، وبالفتح السرير.
فعلى هذا فالمراد هنا: الجنازة بالفتح، أي حينما يوضع الميت على السرير.
انظر: المصباح المنير [١/١٢].

(٣) شفير كل شيء طرفه. المصباح [١/٣٣٨].

(٤) في «و» و«د»: (انظر). ولم يرد لفظ الجلالة في «ط» و«س» و«ل».

(٥) في «و»: (بغيري).

وَاعْلَمْ أَنَّ عِلْماً لَا يُبْعِدُكَ الْيَوْمَ عَنِ الْمَعَاصِي، وَلَا يَحْمِلُكَ عَلَى الطَّاعَةِ، لَنْ[1] يُبْعِدَكَ غَداً عَنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَإِذَا لَمْ تَعْمَلِ الْيَوْمَ، وَلَمْ تَدَارَكِ الأَيَّامَ الْمَاضِيَةَ تَقُولُ غَداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً﴾[2]، فَيُقَالُ: يَا أَحْمَقُ أَنْتَ مِنْ هُنَاكَ تَجِيءُ.

أيّها الولد...

اجْعَلِ الْهِمَّةَ فِي الرُّوحِ، وَالْهَزِيمَةَ فِي النَّفْسِ، وَالْمَوْتَ فِي الْبَدَنِ[3]؛ لأَنَّ مَنْزِلَكَ الْقَبْرُ[4]، وَأَهْلُ الْمَقَابِرِ يَنْتَظِرُونَكَ فِي كُلِّ

---

(١) هكذا في «و» و«ل» و«د» و«س»، وفي «ط»: (... أن العلم لا يبعدك... ولن يبعدك). وهذا عكس المطلوب؛ لأن الغرض ليس الحكم على العلم مطلقاً، وإنما بيان أن بعض أنواع العلوم التي لا تمنع الإنسان من المعاصي يكون غير مفيد يوم القيامة.

(٢) جزء من الآية: ١٢ من سورة السجدة، وتمامها: ﴿ولَو تَرَى إذ المجرمُونَ نَاكِسُوا رؤوسهم عندَ ربِّهم ربَّنا أبصَرنَا وسمِعنَا فارجعنا نَعْمَلْ صَالحاً إنَّا موقنون﴾.

(٣) أشار الغزالي إلى كيفية مداراة الإنسان مع مكوناته الظاهرية والباطنية وهي الروح التي هي من أمر الله تعالى، وهي التي لو تركت لتسمو بتقبل الفيوضات والنفحات من عنده تعالى، فلذلك فاجعلها دائماً ذات همة عالية.
والنفس الأمارة بالسوء الشغوف دائماً بحب الشهوة والجاه والمال، فهذه إن لم تكسرها تقطعك، فعليك بإخضاعها لله رب العالمين والقضاء على كبريائها بالعبادة والتضرع أمام أبواب رحمته.
وأما البدن فهو أيضاً بحكم كونه مخلوقاً مما يشترك فيه الأنعام يكون تابعاً لهوى النفس إن لم تخوفه بالموت وعذاب النار، وإقناعه بأن الحياة واللذة في الخلود والنعيم الأبدي.

(٤) في «ل»: (المقبرة).

لَحْظَةٍ مَتى تَصِلُ إِلَيْهِمْ، إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ بِلاَ زَادٍ[1] وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هَذِهِ الأَجْسَادُ قَفَصُ الطُّيُورِ، وَإِصْطَبْلُ الدَّوَابِّ). فَتَفَكَّرْ فِي نَفْسِكَ مِنْ أَيُّهِمَا[3] أَنْتَ؟ إِنْ كُنْتَ مِنَ الطُّيُورِ العُلْوِيَّةِ[4]، فَحِينَ تَسْمَعُ طَنِينَ طَبْلِ ﴿ٱرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾[5]، تَطِيرُ صَاعِداً إِلَى أَنْ تَقْعُدَ[6] فِي أَعَالِي بُرُوجِ الجِنَانِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمٰنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بـنِ مُعَاذ»[7].

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وتَزوَّدُوا فإنَّ خَيْـر الزَّادِ التَّقْـوَى﴾ (سورة البقـرة: الآية ١٩٧).

(٢) هو عبد الله بن عثمان، أبو بكر ابن أبي قحافة التيمي. الصديق الأكبر، ثاني اثنين في الغار، خليفة رسول الله ﷺ من بعده. شهد المواقع كلها مع خليله ﷺ. توفي سنة ١٣ هـ.
انظر: سيرته العطرة في الإصابة مع الاستيعاب [٢/٣٤١، ٣٤٣]؛ وأسد الغابة [٣/٢٠٤]؛ وطبقات ابن سعد [٣/١٦٩]؛ وجامع كرامات الأولياء [١/١٢٧]؛ وطبقات الحفاظ [١/٣]؛ وتهذيب الأسماء واللغات [٢/١٨١].

(٣) في «د»: (أيها).

(٤) في «س»: (الطير العلوي).

(٥) جزء من آية: ٢٨ من سورة الفجر، وتمامها: ﴿يا أيَّتُها النَّفسُ المطمَئِنَّة ارجِعي إلى ربِّكِ راضِيَةً مرضيَّة. . . ﴾.

(٦) في «و»: (تصعد).

(٧) الحـديث رواه البخاري ومسلم والتـرمذي وابن مـاجه. والمـراد باهتـزازه استبشاره وفرحه بمقدمه.
انظر: صحيح البخـاري مع الفتـح، كتاب منـاقب الأنصار [٧/١٢٣]؛ ومسلم، كتاب فضائل الصحابة [٤/١٩١٥]؛ وسنن ابن ماجه [١/٥٦]. =

وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الـدَّوَابِّ كَمَا قَـالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولئِكَ كالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1]. فَلَا تَأْمَنِ انْتِقَالَكَ مِنْ زَاوِيَةِ الدَّارِ إِلَى هَاوِيَةِ النَّارِ.

وَرُوِيَ أَنَّ الْحَسَنَ البَصرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أُعْطِيَ شَرْبَةَ مَاءٍ بَارِدٍ، فَلَمَّا أَخَذَ[2] القَدَحَ غُشِيَ عَلَيْهِ وَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ: مَا لَكَ يَا أَبَا سَعِيدٍ؟ قَالَ: ذَكَرْتُ أُمْنِيَّـةَ أَهْـلِ النَّارِ حِينَ يَقُـولُونَ لِأَهْـلِ الْجَنَّةِ: ﴿أَنْ أَفِيضُـوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَـاءِ أَوْ مِـمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[3].

= وسعد بن معاذ هو سيد الأوس من الأنصار وقد أسلم على يد مصعب بـن عمير رضي الله عنه. ولما أسلم قال لقومه: (كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تسلموا) فأسلموا، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام ومن أنفعهم لقومه. وشهد بدراً وأحداً والخندق وقد أصيب بسهم في الخندق، ولما نزل يهود بني قريظة على حُكْمِه حَكَم فيهم بقتل مقاتليهم لما علم فيهم من موقفهم حين محاصرة المدينـة في غزوة الخندق، فقال له الرسول ﷺ: «حكمت بحكم الله» رواه البخار ي. وتوفي بعد ذلك إثر انفجار جرحه في سنة ٥ هـ.

انظر: الإصابة [٨٤/٣]؛ وتهذيب الأسماء [٢١٤/١]؛ والبداية والنهاية [١٢٦/٤]. وراجع صحيح البخاري مع الفتح [١٢٣/٧].

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٢) في «ط»: (فأخذ).

(٣) جزء من الآية: ٥ من سورة الأعراف، وتمامها: ﴿ونـادَى أصحَابُ النَّـار أصحابَ الجنَّة أنْ أفِيضُوا علينَا مِنَ الماءِ أو ممَّا رزقَكُم اللّهُ قالوا إنَّ اللّه حرَّمهما على الكافِرين﴾.

أيّها الولد...

لَوْ كَانَ الْعِلْمُ الْمُجَرَّدُ كَافِياً لَكَ وَلاَ تَحْتَاجُ إِلَى عَمَلٍ سِوَاهُ، لَكَانَ نِدَاءُ [اللَّه تَعَالَى][1]: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟»[2] ضَائِعاً بِلاَ فَائِدَةٍ.

وَرُوِيَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ذَكَرُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ عِنْدَ رَسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ هُوَ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ»[3].

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: «يَا

---

(١) الزيادة من «و»، ولم تزد في «ط».

(٢) هذا جزء من حديث قدسي رواه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما، والإمام مالك، والإمام أحمد وابن ماجه وغيرهم بسندهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».
انظر: صحيح البخاري، كتاب التهجد، مع فتح الباري [٣/ ٣٩]؛ وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين [٥٢١/١]؛ وسنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة [٤٣٥/١]؛ والموطأ، كتاب القرآن ص [١٤٩]؛ ومسند أحمد [٢٦٤/٢].

(٣) الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، أن رسول الله ﷺ قال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل». قال سالم: (فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً).
انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة [٨٩/٧ ـ ٩٠]؛ وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة [١٩٢٨/٤].

فُلاَنُ. . . لاَ تُكْثِرِ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ تَدَعُ صَاحِبَهُ فَقِيراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

أيها الولد...

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾[2] أَمْرٌ، ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3] شُكْرٌ، ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[4] ذِكْرٌ.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه والبيهقي عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «قالت أم سليمان بن داود لسليمان: يا بني لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة». قال الحافظ المنذري: إسناده احتمال للتحسين.
فعلى هذا فهذا القول هو قول أم سليمان لابنها.
انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الإقامة [٤٢٢/١]؛ والترغيب والترهيب، ط. دار التراث بمصر [٢٢٤/١].

(٢) جزء من الآية: ٧٩ من سورة الإسراء، وتمامها: ﴿ومِنَ اللَّيلِ فتهجَّدْ بهِ نَافِلةً لكَ عَسَى أنْ يبعثكَ ربُّكَ مَقاماً مَحمُوداً﴾. قال القرطبي: التهجد القيام إلى الصلاة من النوم. واختلف المفسرون في تفسير (نافلة) فقال مقاتل: أي كرامة لك، وقال بعضهم: أي فريضة زائدة على الفريضة الموظفة على الأمة.
ولا خلاف في أن صلاة التهجد سنة على أمته ﷺ واختلفوا في أنها هل هي فرض على الرسول ﷺ أم لا؟
فذهب بعضهم إلى أنها فرض على الرسول ﷺ دون أمته. وذهب آخرون إلى أنها نُسخ وجوبها في حقه ﷺ أيضاً.
انظر: تفسير القرطبي [٣٠٨/١٠].

(٣) جزء من الآية: ١٨ من سورة الذاريات.

(٤) جزء من الآية: ١٧ من سورة آل عمران.

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «ثَلاَثَةُ أَصْوَات يُحِبُّهَا اللَّهُ تَعَالَى: صَوْتُ الدِّيكِ، وَصَوْتُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَصَوْتُ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ»[1].

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ[2] رحمه اللَّه: (إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى رِيحاً[3] تَهُبُّ بِالأَسْحَارِ تَحْمِلُ الأَذْكَارَ وَالاسْتِغْفَارَ إِلَى المَلِكِ الْجَبَّارِ).

---

(١) الحديث رواه الديلمي عن أم سعد بنت زيد بن ثابت كما قاله صاحب الكنز. وروى أبو داود وابن ماجه بإسناد جيد عن ابن عباس قال: إن ديكاً صرخ عند النبي ﷺ فسبَّه رجل ولعنه فقال ﷺ: «لا تسبه ولا تلعنه، فإنه يدعو للصلاة». قال العلماء: فيه دليل على أن كل من استفيد منه خير لا ينبغي أن يُسبَّ أو يستهان بل حقه أن يكرم ويشكر.
انظر: كنز العمال، ط. مؤسسة الرسالة سنة ١٣٩٩ هـ، الحديث: ٤٣٢٣٧ [٨١٤/١٥]؛ وراجع سنن أبي داود مع العون [٦/١٤]؛ والمقاصد الحسنة ص [٤٩٧]؛ والفتح الكبير [٥١/٢]؛ وكشف الخفا [٤٩٦/٢].

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والفتوى. قال ابن المبارك: (كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ، هو أفضلهم). وقال الإمام أحمد: (لا يتقدمه في قلبي أحد). وقد حاول الخليفة المنصور أن يلي الثوري القضاء، فأبى وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ، فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي فلم يستجبه، بل توارى فخرج إلى البصرة فمات فيها سنة ١٦١ هـ. وكانت ولادته في ٩٦ هـ على الأرجح.
انظر: البداية والنهاية [١٣٤/١٠]؛ وحلية الأولياء [٣٥٦/٦]؛ وتهذيب التهذيب [١١١/٤ ـ ١١٥]؛ وتاريخ بغداد [١٥١/٩]؛ والأعلام للزركلي [١٥٨/٣].

(٣) هكذا في «س» و«و» و«ل» و«د». وفي «ط»: (إن الله... خلق ريحاً).

وَقَـالَ أَيْضاً: (إذَا كَـانَ أَوَّلُ اللَّيْلِ يُنَـادِي مُنَادٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْش : أَلَا لِيَقُمِ العَابِدُونَ، فَيَقُومُونَ وَيُصَلُّونَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ فِي شَطْرِ اللَّيْلِ [١]: أَلَا لِيَقُمِ القَانِتُونَ [٢]، فَيَقُـومُونَ وَيُصَلُّونَ إِلَى السَّحَرِ، فَإِذَا كَـانَ السَّحَرُ يُنَادِي مُنَادٍ: أَلَا لِيَقُمِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، فَيَقُومُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ يُنَـادِي [٣] مُنَادٍ: أَلَا [٤] لِيَقُمِ الغَافِلُونَ، فَيَقُومُونَ مِنْ فُرُوشِهِمْ كَالْمَوْتَى نُشِرُوا مِنْ قُبُورِهِمْ).

أيها الولد...

رُوِيَ فِي [بعض] [٥] وَصَايَا لُقْـمَانَ الْحَكِيمِ [٦] لِابْنِهِ أَنَّهُ قَـالَ: يَا بُنَيَّ... لَا يَكُـونَنَّ الـدِّيـكُ أَكْيَسَ [٧] مِنْـكَ، يُنَـادِي

---

(١) أي نصف الليل.

(٢) أي العابدون الذين يقومون الليل ساجدين لله تعالى. المصباح [٢/١٧٦].

(٣) في «ط»: (نادى).

(٤) في «و»: (أن) مكان (ألا) في كل ما سبق...

(٥) الزيادة من «و».

(٦) هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته. يقال إنه عاش ألف سنة، وأدركه داود عليه السلام وأخذ عنه العلم، واختُلف هل كان نبياً أم ولياً. فذهب بعض العلماء ـ منهم عكرمة والشعبي ـ إلى أنه كان نبياً. وذهب آخرون إلى أنه كان ولياً حكيماً أعطاه الله العلم والحكمة.
انظر: تفسير القرطبي، ط. دار االكتاب [١٤/٥٩]؛ والكشاف، ط. بولاق [٢/٤١٢]؛ ودائرة معارف فريد وجدي [٨/٣٧٠]؛ وتفسير ابن كثير، ط. دار الشعب [٦/٣٣٨]. وذكر أنه لقمان بن عنقاء بن سدون.

(٧) الكيس أي العاقل الفطن. المصباح [٢/٢٠٨].

بِالْأَسْحَارِ[1] وَأَنْتَ نَائِمٌ.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ شِعْراً:

لَقَدْ هَتَفَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ
عَلَى فَنَنٍ وَهْناً[2] وَإِنِّي لَنَائِمُ

كَذَبْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقاً
لَمَّا سَبَقَتْنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ

وَأَزْعَمُ أَنِّي هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ[3]
لِرَبِّي فَلَا أَبْكِي وَتَبْكِي الْبَهَائِمُ![4]

---

(١) ولا يخفى أن كل شيء يسبح بحمد الله تعالى قال تعالى: ﴿تُسبِّح لهُ السَّمواتُ السَّبعُ والأرضُ ومَنْ فيهنَّ وإنْ مِنْ شيءٍ إلَّا يُسبِّحُ بحمدهِ ولكنْ لا تَفْقَهُونَ تَسبيحَهُم إنَّه كانَ حليماً غفوراً﴾ (سورة الإسراء: الآية ٤٤).
قال القرطبي: (والمراد به تسبيح الدلالة فكل شيء حادث يشهد على نفسه بأن الله خالق قادر. وقالت طائفة: هذا التسبيح حقيقة). وهذا هو الراجح بنص الآية، ولكن لا نفقه كيفية تسبيحهم.
انظر: تفسير القرطبي [١٠/٢٦٦].

(٢) الفنن: الغض من الأشجار.
والوهن: الضعف، ونحو من نصف الليل، أو بعد ساعة منه.
انظر: المصباح [٢/١٣٨] والقاموس [٤/٢٧٨].

(٣) الزعم: الظن وأكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً.
هائم ذو صبابة: أي عاشق ذو عشق ومحب حباً حقيقياً لله تعالى. أي لو كنت صادقاً في ادعائي الحب لله تعالى لكنت بكيت خوفاً من عذابه ومن البعد عن لقائه وجنته.

(٤) في «س»: (الحمائم).

أيّها الولد...

خُلَاصَةُ الْعِلْمِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ مَا هِيَ؟

اعْلَمْ[1] أَنَّ الطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ مُتَابَعَةُ الشَّارِعِ فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، يَعْنِي: كُلُّ مَا تَقُولُ وَتَفْعَلُ، وَتَتْرُكُ قولَه وفعلَه[2] يَكُونُ بِاقْتِدَاءِ الشَّرْعِ كَمَا لَوْ صُمْتَ يَوْمَ الْعِيدِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ[3] تَكُونُ عَاصِياً، أَوْ صَلَّيْتَ فِي ثَوْبٍ مَغْصُوبٍ ـ وَإِنْ كَانَتْ صُورَةَ عِبَادَة ـ تَأْثَم.

أيّها الولد...

يَنْبَغِي لَكَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُكَ وَفِعْلُكَ مُوَافِقاً لِلشَّرْعِ، إِذْ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ بِلَا اقْتِدَاءِ الشَّرْعِ ضَلَالَةٌ. وَيَنْبَغِي لَكَ أَلَا تَغْتَرَّ بِشَطحِ الصُّوفِيَّةِ وَطَامَّاتِهِم[4]؛ لِأَنَّ سُلُوكَ هَذَا الطَّرِيقِ يَكُونُ بِالْمُجَاهَدَةِ

---

(١) في «ط»: (واعلم).

(٢) لم يرد: (قوله وفعله) في «ط».

(٣) أيام التشريق: هي الأيام الثلاثة بعد يوم عيد الأضحى. المصباح [١/٣٣٢].

(٤) هكذا في «ل»، وفي «و» و«ط»: (بالشطح وطامات الصوفية)، وفي «س»: (بشطح وطامات الصوفية).
الشطح هو ما يصدر من الصوفي عند الجذب فيكون ظاهره مخالفاً للشرع وللأدب مع الله تعالى. قال السيد الشريف: وهو من الزلات. وطاماتهم: أي الأمور الغريبة التي تصدر من الصوفية التي لا فائدة فيها، لأن طريق التصوف =

وَقَطْعِ شَهْوَةِ النَّفْسِ وَقَتْلِ هَوَاهَا بِسَيْفِ الرِّيَاضَةِ(١)، لَا بِالطَّامَّاتِ وَالتُّرَّهَاتِ(٢).

وَاعْلَمْ أَنَّ اللِّسَانَ الْمُطْلَقَ وَالْقَلْبَ الْمُطْبَقَ(٣) الْمَمْلُوءَ بِالْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ عَلَامَةُ الشَّقَاوَةِ، حَتَّى لَا تَقْتُلَ النَّفْسَ بِصِدْقِ الْـمُجَاهَدَةِ لَنْ يَحْيَىٰ قَلْبُكَ بِأَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ(٤).

وَاعْلَمْ أَنَّ بَعْضَ مَسَائِلِكَ الَّتِي سَأَلْتَنِي عَنْهَا(٥) لَا يَسْتَقِيمُ(٦)

= الحقيقي هو المجاهدة، وليس الاشتغال بما لا طائل تحته.
انظر: القاموس المحيط مادة (طم)؛ والتعريفات ص [٦٧].

(١) أي برياضة النفس وتمرينها على الطاعة والعبادة. قال السيد: الرياضة ـ أي في عرف العلماء ـ عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية فإن تهذيبها تمحيصها عن خلطات الطبع ونزعاته. التعريفات ص [٦٠].

(٢) الترهات: أي الأباطيل. والأقاويل: الخالية من الفائدة. القاموس المحيط: [٤/٤٨٤].

(٣) أي من كان لسانه مطلقاً يتكلم بدون ملاحظة أو قيد أو اعتبار، وكان قلبه مغلقاً عن التفكير وتلقي الخير فهو شقي، لأن السعيد يعرف أنه «وهل يكبُّ الناس على وجوهم في النار إلَّا حصائد ألسنتهم». فقد جعل الله تعالى عدة حواجز للسان حتى لا يكون سبباً لمشاكل صاحبه، فقد وضعه بين الأسنان، وأحاطه بسياج شديد من الشفتين، بالإضافة إلى أنه زوده بوسائل تلقي الأخبار من الحواس الخمس، ثم سخر العقل عليه. كل ذلك حتى يكون تفكيره سليماً، وكلامه صحيحاً.

(٤) في «ل» و«س»: (الموافقة).

(٥) لم يرد: (التي سألتني عنها) في «س».

(٦) هكذا في «س» و«و» و«ل» و«د»، وفي «ط»: (يستقيم). أي سقط منها (لا) وهو غير صحيح؛ لأن الكلام في أن بعض هذه المسائل لا يستقيم جوابها =

جَوَابُهَا(١) بِالْكِتَابَةِ وَالْقَوْلِ، إِنْ تَبْلُغْ تِلْكَ الحَالَةَ تَعْرِفْ مَا هِيَ وَإِلَّا فَعِلْمُهَا مِنَ الْمُسْتَحِيلَاتِ؛ لِأَنَّهَا ذَوْقِيَّةٌ، وَكُلُّ مَا يَكُونُ ذَوْقِيّاً، لَا يَسْتَقِيمُ وَصْفُهُ بِالْقَوْلِ. كَحَلَاوَةِ الحُلْوِ وَمَرَارَةِ المُرِّ، لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِالذَّوْقِ.

كَمَا حُكِيَ أَنَّ عِنِّيناً(٢) كَتَبَ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ: أَنْ عَرِّفْنِي لَذَّةَ الْمُجَامَعَةِ كَيْفَ تَكُونُ؟.

فَكَتَبَ لَهُ فِي جَوَابِهِ: يَا فُلَانُ... إِنِّي كُنْتُ حَسِبْتُكَ عِنِّيناً فَقَطْ، الآنَ عَرَفْتُ أَنَّكَ عِنِّينٌ وَأَحْمَقُ؛ لِأَنَّ هٰذِهِ اللَّذَّةَ ذَوْقِيَّةٌ، إِنْ تَصِلْ إِلَيْهَا تَعْرِفْ، وَإِلَّا لَا يَسْتَقِيمُ وَصْفُهَا بِالْقَوْلِ وَالْكِتَابَةِ.

أيها الولد...

بَعْضُ مَسَائِلِكَ مِن هٰذَا الْقَبِيلِ(٣)، وَأَمَّا الْبَعْضُ الَّذِي يَسْتَقِيمُ لَهُ الْجَوَابُ فَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي «إِحْيَاءِ الْعُلُومِ»(٤) وَغَيْرِهِ. وَنَذْكُرُ هٰهُنَا

= بالكتابة والقول بدليل أن الكلام في أن هذه المسائل ذوقية لا تدرك إلا بالذوق.

(١) في «و»: (جوابه). باعتبار البعض.

(٢) العنين هو الرجل الذي لا يقدر على إتيان النساء، أولا يشتهي النساء. ويقال: امرأة عنينة أي لا تشتهي الرجال. المصباح [٢/ ٨٤].

(٣) أي ذوقية لا يمكن أن تعرف لك، ولا يمكن أن تدركها إلا بعد أن تذوقها أنت بنفسك.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، ط. عيسى الحلبي، الجزء الثالث، كتاب شرح =

نُبَذاً مِنْهُ وَنُشِيرُ إِلَيْهِ فَنَقُولُ: قَدْ وَجَبَ عَلَى السَّالِكِ[1] أَرْبَعَةُ أُمُورٍ:

أَوَّلُ الأَمْرِ: اعْتِقَادٌ صَحِيحٌ لَا يَكُونُ فِيهِ بِدْعَةٌ[2].

والثـاني: تَوْبَةٌ نَصُوحٌ[3] لَا يَرْجِعُ بَعْدَهُ إِلَى الذِّلَّةِ.

والثالثُ: اسْتِرْضَـاءُ الخُصُومِ حَتَّى لَا يَبْقَى لِأَحَـدٍ عَلَيْكَ حَقٌّ.

والرابعُ: تَحْصِيلُ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ قَدْرَ مَا تُؤَدِي بِهِ أَوَامِرَ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُـمَّ مِنَ الْعُلُومِ الْآخِرَةِ مَا يَكُونُ بِهِ[4] النَّجَاةُ.

= عجائب الخلق، وبقية كتب ربع المهلكات، والجزء الرابع الخاص بربع المنجيات.

(١) سقط في «ل»: (قد وجب على السالك أربعة أمور).
والسالك هو الذاهب على طريق الحق ليصل إلى ربه. قال سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذاهِبٌ إلى رَبِّي سَيهدِينِ﴾ (سورة الصافات: الآية ٩٩).

(٢) البدعة هي كل أمر مخالف لما جاء به القرآن الكريم والسنة المشرفة، ولم يكن له أصل في الإسلام. سميت بالبدعة؛ لأن قائلها ابتدعها من غير أصل، فقد روى مسلم في صحيحه وغيره عن جابر بن عبد الله قال: (... ويقول ـ أي في خطبته يقول ـ ﷺ: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».
انظر: صحيح مسلم، كتاب الجمعة [٥٩٢/١]؛ وراجع تعريف البدعة في التعريفات ص [٢٤].

(٣) أي توبة خالصة صادقة لا رجعة بعدها إلى المعاصي.
انظر: المصباح [٢٧٦/٢]؛ والقاموس مادة (نصح).

(٤) في «و» و«ل»: (فيه).

حُكيَ أَنَّ الشِّبْلِيَّ[1] رَحِمَهُ اللَّهُ خَدَمَ أَرْبَعمائَةَ أُسْتَاذٍ، وَقَالَ قَرَأتُ أَرْبَعَةَ ألآفِ حَدِيثٍ، ثُمَّ اخْتَرْتُ مِنْهَا حَدِيثاً وَاحِداً، وَعَمِلْتُ بِهِ، وَخَلَّيْتُ مَا سِوَاهُ؛ لأَنِّي تَأَمَّلْتُه فَوَجَدْتُ خَلاَصِي وَنَجَاتِي فِيهِ، وَكَانَ عِلْمُ الأَوَّلِينَ، وَالآخِرِينَ كُلُّهُ مُنْدَرِجاً فِيهِ فَاكْتَفَيْتُ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ بِقَدْرِ مُقَامِكَ فِيهَا، وَاعْمَلْ لآخِرَتِكَ بِقَدْرِ بَقَائِكَ فِيهَا، وَاعْمَلْ لِلَّهِ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ، وَاعْمَلْ لِلنَّارِ بِقَدْرِ صَبْرِكَ عَلَيْهَا»[2].

أيها الولد...

إذَا عَلِمْتَ هَذَا الْحَدِيثَ لاَ حَاجَةَ إِلَى الْعِلْمِ الْكَثِيرِ، وَتَأَمَّلْ

---

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي. أصله من قرية يقال لها: شبلة من خراسان، ولد بسامراء في سنة ٢٤٧ هـ. وكان أبوه حاجب الحجاب للخليفة الموفق وخاله نائب الإسكندرية، فنشأ الشبلي على الولاية والإمارة حيث تولى ولاية دنباوند من نواحي الري ثم ولي الحجابة ـ وهي منصب يشابه منصب: الأمين العام لرئاسة الجمهورية الآن أو الوزير المختص بذلك ـ فسمع يوماً أحد الصالحين ـ وهو خير النساج ـ يعظ فوقع في قلبه كلامه فتاب من فوره. ثم ترك الخلفاء والأمراء وصحب الفقراء والمشايخ حتى صار من أئمة الزهاد. قال الجنيد: الشبلي تاج هؤلاء. وتوفي رحمه الله ببغداد في سنة ٣٣٤ هـ.

انظر: البداية والنهاية [١١/٢١٥]؛ ووفيات الأعيان [١/١٨٠]؛ والنجوم الزاهرة [٣/٢٨٩]؛ والأعلام [٣/٢٠].

(٢) لم أجده بهذا اللفظ لكن روى البيهقي بلفظ: «اعمل عمل امرىء يظن أن لن يموت أبداً، واحذر حذر امرىء يخشى أن يموت غداً».

وروى القضاعي في مسنده [٢/٦٠]: «أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غداً». قال الألباني: ضعيف جداً. =

فِي حِكَايَةٍ أُخْرَى، وَهِي[1]: أَنَّ حَاتِمَ الأَصَمَّ[2] كَانَ مِنْ أَصْحَابِ شَقِيقٍ الْبَلْخِيِّ[3] رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمَا، فَسَأَلَهُ يَوْماً قَالَ: صَاحَبْتَنِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا حَصَّلْتَ فيها؟[4].

= انظر: السنن الكبرى [٣/١٩]؛ وسلسلة الأحاديث الضعيفة [٢/٢٢٦] الحديث رقم (٨٧٤). ويراجع في تفصيل ذلك رسالة «سبل الهدى في إبطال حديث: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا» للشيخ العلاّمة أحمد الغماري، ط. دار البشائر الإسلامية.

(١) لم يرد: (وهي) في «س»، وفي «ط»: (وذلك).

(٢) هو حاتم بن عنوان أبو عبد الرحمن المشهور بالأصم، من كبار الزهاد المشهورين بالزهد والتقشف. ولد ببلخ ثم بدأ بدراسة الفقه والحديث وغيرهما وزار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل، وكان من العلماء المجاهدين المرابطين في ثغور الإسلام، وكان يسمى بلقمان هذه الأمة. وله أقوال كثيرة في الزهد والحِكم منها قوله: (ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ماذا تأكل؟ وماذا تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر). وقوله: (أربعة يندمون: المقصر إذا فاته العمل، والمنقطع عن أصدقائه إذا نابته نائبة، والممكن منه عدوه بسوء رأيه، والجريء على الذنوب). توفي سنة ٢٣٧ هـ.

انظر: تاريخ بغداد [٨/٢٤١]؛ والأعلام [٢/١٥١].

(٣) هو شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي، أبو علي. كان من كبار الزهاد، ومن أشهر مشايخ خراسان. وكان مجاهداً مرابطاً استشهد في غزوة كولان ـ ناحية بما وراء النهر ـ سنة ١٩٤ هـ. وقد أخذ التصوف من إبراهيم بن أدهم وتتلمذ عليه حاتم الأصم وغيره. قال الذهبي: كان له ثلاثمائة قرية ثم مات بلا كفن، وهو ثقة.

انظر: ترجمته في طبقات الصوفية ص [٦١ ـ ٦٦]؛ وحلية الأولياء [٨/٥٨]؛ وميزان الاعتدال [٢/٢٧٩]؛ والنجوم الزاهرة [٢/٢١]؛ والأعلام [٣/ ٢٤٩].

(٤) في «و» و«ل»: (ما حاصلك فيها).

قَالَ: حَصَّلْتُ ثَمَانِي فَوَائِدَ مِنَ الْعِلْمِ، وَهِيَ تَكْفِينِي مِنْهُ لِأَنِّي أَرْجُو خَلَاصِي وَنَجَاتِي فِيهَا.

فَقَالَ شَقِيقٌ: مَا هِيَ؟.

قَالَ حَاتِمٌ[1]:

الْفَائِدَةُ الأُوْلَى:

أَنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْخَلْقِ فَرَأَيْتُ لِكُلٍّ مِنْهُمْ مَحْبُوباً وَمَعْشُوقاً يُحِبُّهُ وَيَعْشَقُهُ، وَبَعْضُ ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ يُصَاحِبُهُ إِلَى مَرَضِ الْمَوْتِ وَبَعْضُهُ يصاحبه[2] إِلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، ثُمَّ يَرْجِعُ كُلُّهُ وَيَتْرُكُهُ فَرِيداً وَحِيداً، وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُ فِي قَبْرِهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ. فَتَفَكَّرْتُ وَقُلْتُ: أَفْضَلُ مَحْبُوبِ الْمَرْءِ مَا يَدْخُلُ مَعَهُ[3] فِي قَبْرِهِ وَيُؤْنِسُهُ فِيهِ، فَمَا وَجَدْتُهُ غَيْرَ[4] الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَأَخَذْتُهَا مَحْبُوبَةً[5] لِي؛ لِتَكُونَ لِي سِرَاجاً فِي قَبْرِي وَتُؤْنِسَنِي فِيهِ وَلَا تَتْرُكَنِي فَرِيداً.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ:

أَنِّي رَأَيْتُ الْخَلْقَ يَقْتَدُونَ أَهْوَاءَهُمْ، وَيُبَادِرُونَ إِلَى مُرَادَاتِ أَنْفُسِهِمْ. فَتَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى

---

(١) في «ط»: (قال حاتم الأصم).

(٢) لم يرد في «ط»: (يصاحبه).

(٣) لم يرد في «ط»: (معه).

(٤) في «و» و«ل»: (إلا).

(٥) في «ط»: (محبوباً)، والأصح ما أثبتناه لأن المفعول الأول مؤنث وهو (ها).

النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[1] وَتيَقَّنْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ صَادِقٌ فَبَادَرْتُ إلَى خِلاَفِ نَفْسِي وَتَشَمَّرْتُ[2] بِمُجَاهَدَتِهَا، وَمَا مَتَّعْتُهَا بِهَوَاهَا، حَتَّـى ارتاضت[3] بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَانْقَادَتْ.

الْفَـائِدَةُ الثَّالِثَةُ:

أَنِّي رَأَيْتُ كُلَّ وَاحِد مِنَ النَّاسِ يَسْعَى فِي جَمْع حُطَامِ الدُّنْيَا[4]، ثُمَّ يُمْسِكه قَابِضاً يَدَهُ عَلَيْه[5]. فَتَأَمَّـلْتُ فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[6] فَبَـذَلْتُ مَحْصُولِي مِنَ الدُّنْيَا لِوَجْهِ اللَّهِ تَعـالَى فَفَرَّقْتُـهُ بَيْنَ الْمَسَاكِينَ لِيَكُـونَ ذُخْراً لِي عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

---

(١) سورة النازعات: الآيتان ٤٠ ـ ٤١.

(٢) أي أسرعت واجتهدت في مجاهدة النفس. المصباح [١/٣٤٥].

(٣) في «ط»: (رضيت)، وبينهما فرق، فما أثبتناه من «و» و«ل» و«د» و«س» معتل أجوف، وما في «ط» ناقص. وكذلك الفرق بين المعنى، فالرضا سرور بالشيء. والارتياض: الانقياد، فما أثبتناه أولى وأنسب مع النفس الأمارة بالسوء، ومع المقام أي أسرعت وبالغت في مجاهدة نفسي حتى انقادت وتهذبت بطاعة الله تعالى.

انظر: القاموس المحيط مادتي (رضى) و(راض).

(٤) حطام الدنيا هي ما فيها من متع وشهوة.

(٥) في «ط»: (ثم يمسكها قابضاً يده عليه). أي الضمير مرة بالتذكير باعتبار لفظ (جمع)، ومرة بالتأنيث باعتبار (حطام)، وأن المضاف قد كسب التأنيث منه لأنه مؤهل للحذف قال ابن مالك:

وربـمـا أكـسـب ثـانٍ أولا تأنيثاً إن كان لحذف مؤهلا

ألفيـة ابن مالك، ط. مكتبة العلمية بطهران ص [٤٩].

(٦) سورة النحل: الآية ٩٦.

الْفَـائِدَةُ الرَّابِعَةُ:

أَنِّي رَأَيْتُ بَعْضَ الْخَلْقِ يَظُنَّ أَنَّ[1] شَرَفَهُ وَعِزَّهُ فِي كَثْرَةِ الأَقْوَامِ وَالْعَشَائِرِ فَاعْتَـزَّ[2] بِهِمْ.

وَزَعَـمَ آخَرُونَ أَنَّهُ فِي ثَرْوَةِ الأَمْوَالِ وَكَثْرَةِ الأَوْلَادِ، فَافْتَخَرُوا بِهَا.

وَحَسِبَ بعضُهم أَن العِـزَّ[3] والشَّـرَفَ فِي غَصْبِ أَمْـوَالِ النَّاسِ وَظُلْمِهِمْ وَسَفْكِ دِمَائِهِمْ.

وَاعْتَقَدَتْ طَائِفَةٌ أَنَّهُ فِي إِتْلَافِ الْمَالِ وَإِسْرَافِهِ، وَتَبْذِيرِهِ.

فَتَـأَمَّلْتُ فِي[4] قَـوْلِـهِ تَعَـالَى: ﴿إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِنْـدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[5] فَاخْتَرْتُ التَّقْوَى، وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ صَادِقٌ، وَظَنَّهُمْ وَحُسْبَانُهُمْ كُلَّهَا بَاطِلٌ زَائِلٌ.

الْفَـائِدَةُ الْخَامِسَةُ:

أَنِّي رَأَيْتُ النَّاس يَذُمُّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَيَغْتَابُ[6] بَعْضُهُمْ

---

(١) في «ل» و«ط»: (ظن شرفه).

(٢) أي يشعر أنه عزيز وقوي بهم. هكذا في «و»، وفي «ط» و«ل»: (فاغتر). أي من الغرور ومعناه أصبح مغروراً بهم، وكلا المعنيين صحيح.

(٣) في «ط»: (... بعضهم الشرف...)، وفي «و»: (العزة).

(٤) في «ط»: (وتأملت).

(٥) سورة الحجرات: جزء من الآية ١٣.

(٦) الغيبة: ذكر الإنسان أخاه بما يكرهه من العيوب، وهي من المحرمات. قال=

بَعْضَاً[1]، فَوَجَدْتُ [أصل][2] ذَلِكَ مِنَ الحَسَدِ فِي الْمَالِ وَالجَاهِ وَالْعِلْمِ. فَتَأَمَّلْتُ في[3] قَوْلِهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[4] فَعَلِمْتُ أَنَّ القِسْمَةَ كَانَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الأَزَلِ، فَمَا حَسَدْتُ أَحَداً، وَرَضِيتُ بِقِسْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ:

أَنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يُعَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً لِغَرَضٍ وَسَبَبٍ. فَتَأَمَّلْتُ في[5] قَوْلِهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾[6] فَعَلِمْتُ[7] أَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَدَاوَةُ أَحَد غَيْرِ الشَّيْطَانِ.

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ:

أَنِّي رَأَيْتُ كُلَّ أَحَدٍ يَسْعَى بِجِدٍّ، وَيَجْتَهِدُ بِمُبَالَغَة لِطَلَب الْقُوتِ وَالْمَعَاشِ، بِحَيْثُ يَقَعُ بِهِ فِي شُبْهَةٍ وَحَرَامٍ وَيُذِلُّ نَفْسَهُ

= تعالى:

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا اجتَنِبُوا كَثيراً مِنَ الظن إنَّ بعضَ الظن إثمٌ ولا تجسَّسُوا ولا يغتبْ بعضُكم بعضاً أيحبُّ أحدكُم أنْ يأكلَ لحمَ أخِيه ميتاً فكَرِهتُموه واتقُوا الله إنَّ الله توابٌ رحيم﴾ (سورة الحجرات: الآيـة ١٢).

(١) لم يرد: (بعضهم بعضاً) في «و» فقط.

(٢) الزيادة من «س».

(٣) لم يرد: (في) في «ط».

(٤) سورة الزخرف: جزء من الآية ٣٢.

(٥) لم يرد: (في) في «ط».

(٦) سورة فاطر: جزء من الآية ٦.

(٧) في «ط»: (علمت).

وَينْقُصُ قَدْرَهُ. فَتَأَمَّلْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1] فَعَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي عَلَى اللَّهِ تَعالَى وَقَدْ ضَمِنَهُ، فَاشْتَغَلْتُ بِعِبَادَتِهِ، وَقَطَعْتُ طَمَعِي عَمَّنْ سِوَاهُ.

الْفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ:

أَنِّي رَأَيْتُ كُلَّ وَاحِد مُعْتَمِداً عَلَى[2] شَيْءٍ مَخْلُوق، بَعْضُهُمْ عَلَى الدِّينَار وَالدِّرْهَم[3]، وَبَعْضُهُمْ عَلَى الْمَالِ وَالْمُلْكِ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى الْحِرْفَةِ وَالصِّنَاعَةِ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى مَخْلُوق مِثْلِهِ. فَتَأَمَّلْتُ فِي[4] قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّه لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[5] فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

فَقَالَ شَقِيقٌ: وَفَّقَكَ اللَّهُ تَعَالَى. إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ[6]، فَوَجَدْتُ الْكُتُبَ الْأَرْبَعَةَ تَدُورُ عَلَى

---

(١) سورة هود: جزء من الآية ٦.

(٢) وفي «و» و«ط»: (إلى)، وكذلك في الأماكن الأربعة الآتية و(اعتمد) يتعدى بنفسه ويتعدى بـ(إلى) و(على) ويختلف مع كل واحد معناه. فيقال: اعتمدته أي جعلته معتمداً، واعتمدت إليه أي قصدت، واعتمدت عليه أي اتكأت وركنت عليه.

انظر: المصباح [٢/٧٩ - ٨٠]؛ والقاموس المحيط [١/٣٢٨].

(٣) في «و»: (الدنانير والدراهم).

(٤) في «ل» لم يرد: (في).

(٥) سورة الطلاق: الآية ٣.

(٦) التوارة كتاب موسى، الإنجيل لعيسى، والزبور لداود، والفرقان لمحمد=

هَذِهِ الْفَوَائِدِ الثَّـمَانِي[1]، فَمَنْ عَمِلَ بِهَا كَانَ عَامِلاً بِهَذِهِ الْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ[2].

أيها الولد...

قَدْ عَلِمْتَ مِنْ هَاتَيْنِ الحِكَايَتَيْنِ أَنَّكَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَكْثِيرِ الْعِلْمِ، وَالْآنَ[3] أُبَيِّنُ لَكَ مَا يَجِبُ عَلَى سَالِكِ سَبِيلِ الْحَقِّ. فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلسَّالِكِ شَيْخٌ[4] مُرْشِدٌ مُرَبٍّ، لِيُخْرِجَ الْأَخْلَاقَ السَّيِّئَةَ مِنْهُ بِتَرْبِيَتِهِ[5]، وَيَجْعَلَ مَكَانَهَا خُلُقاً حَسَناً.

وَمَعْنَى التَّرْبِيَةِ يَشبهُ فِعْلَ الفَلَّاحِ الَّذِي يَقْلَعُ الشَّوْكَ، وَيُخْرِجُ النَّبَاتَاتِ الْأَجْنَبِيَّةَ مِنْ بَيْنِ الزَّرْعِ لِيَحْسُنَ نَبَاتُهُ وَيَكْمُلَ رِيعُهُ[6]. وَلَا بُدَّ لِلسَّالِكِ مِنْ شَيْخٍ يُرَبِّيه[7] وَيُرْشِدُهُ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ لِلْعِبَادِ رَسُولاً لِلْإِرْشَادِ إِلَى سَبِيلِهِ، فَإِذَا ارْتَحَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ خَلَفَ الْخُلَفَاءَ فِي مَكَانِهِ، حَتَّى يُرْشِدُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

= المصطفى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) في «و»: (الثمانية). وهي خطأ، لأن المقصود ثماني فوائد.

(٢) في «ل» لم يرد: (الأربعة).

(٣) في «ل»: (فالآن).

(٤) في «ل»: (من شيخ).

(٥) لم يرد في «ل»: (بتربيته).

(٦) الريع: النماء والزيادة. المصباح [٢٦٦/١].

(٧) في «ط»: (يؤدبه).

وَشَرْطُ الشَّيْخِ الَّذِي يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ نَائِباً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عَالِماً، إِلاَّ أَنَّ كُلَّ عَالِمٍ لاَ[1] يَصْلحُ لِلْخِلاَفَةِ[2]. وَإِنِّي أُبَيِّنُ لَكَ بَعْض علاماته[3] عَلَى سَبِيلِ الإِْجْمَالِ، حَتَّى لاَ يَدَّعِيَ كُلُّ أَحد أَنَّهُ مُرْشِدٌ فَنَقُولُ: مَنْ يُعْرِضُ عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْجَاهِ. وَكَانَ قَدْ تَابَع شَيْخاً بَصِيراً[4] تَسَلْسَلُ مُتَابَعَتُهُ إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَ مُحْسِناً رِيَاضَةَ نَفْسِهِ مِنْ قِلَّةِ الأَكْلِ وَالْقَوْلِ وَالنَّوْمِ، وَكَثْرَةِ الصَّلَوَاتِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّوْمِ. وَكَانَ بِمُتَابَعَةِ الشَّيْخِ الْبَصِير جَاعِلاً مَحَاسِنَ الأَخْلاَقِ لَهُ سِيرَةً كَالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَالشُّكْرِ، وَالتَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ والسَّخَاءِ[5]، وَالْقَنَاعَةِ وَطُمَأْنِينَةِ النَّفْسِ وَالْحِلْمِ وَالتَّوَاضُعِ، وَالْعِلْمِ وَالصِّدْقِ وَالْحَيَاءِ وَالْوَفَاءِ، وَالْوَقَارِ، وَالسُّكُونِ وَالتَّأَنِّي وَأَمْثَالِهَا. فَهُوَ إِذاً نُورٌ مِنْ أَنْوارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْلُحُ لِلاقْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَكِنَّ وُجُودَ مِثْلِهِ نَادِرٌ أَعَزُّ مِنَ الْكَبْرِيتِ الأَحْمَرِ، وَمَنْ

---

(١) في «ط»: (ولكن... لا كل عالم...)، وفي «و»: (لا أن كل عالم...).
أي ليس كل عالم يصلح لذلك بل بعضهم.

(٢) في «و» و«ل»: (له).

(٣) في «ط»: (علامته).

(٤) في «ط»: (الشخص)، وفي «و»: (الشيخ).

(٥) لم يرد: (السخاء) في «ط».

سَاعَدَتْهُ السَّعَادَةُ فَوَجَدَ شَيْخاً كَمَا ذَكَرْنَا، وَقَبِلَهُ الشَّيْخُ، يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرِمَهُ ظَاهِراً وَبَاطِناً.

أَمَّا احْتِرَامُ الظَّاهِرِ: فَهُوَ أَنْ[1] لَا يُجَادِلَهُ. وَلَا يَشْتَغِلَ بِالاحْتِجَاجِ مَعَهُ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ وَإِنْ عَلِمَ خَطَأَهُ. وَلَا يُلْقِي بَيْنَ يَدَيْهِ سَجَّادَتَهُ[2] إِلَّا وَقْتَ أَدَاءِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا فَرَغَ [مِنَ الصَّلَاةِ][3] يَرْفَعُهَا. وَلَا يُكْثِرُ نَوَافِلَ الصَّلَاةِ بِحَضْرَتِهِ. وَيَعْمَلُ مَا يَأْمُرُهُ الشَّيْخُ مِنَ الْعَمَلِ بِقَدْرِ وُسْعِهِ وَطَاقَتِهِ.

وَأَمَّا احْتِرَامُ الْبَاطِنِ: فَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَا يَسْمَعُ وَيَقْبَلُ مِنْهُ فِي الظَّاهِرِ لَا يُنْكِرُهُ فِي الْبَاطِنِ لَا فِعْلاً وَلَا قَوْلاً؛ لِئَلَّا يَتَّسِمَ بِالنِّفَاقِ[4]، وَإِنْ[5] لَمْ يَسْتَطِعْ يَتْرُكْ صُحْبَتَهُ إِلَى أَنْ يُوَافِقَ بَاطِنُهُ ظَاهِرَهُ.

وَيَحْتَرِزُ عَنْ مُجَالَسَةِ صَاحِبِ السُّوءِ؛ لِيُقْصِيَ[6] وِلَايَةَ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مِنْ صَحْنِ قَلْبِهِ، فَيُصْفِي عَنْ لَوْثِ[7] الشَّيْطَنَةِ،

---

(١) في «ل» و«س»: (فأن).

(٢) في «و» و«ل»: (السجادة).

(٣) الزيادة من «و».

(٤) النفاق هو مخالفة الباطن للظاهر. ففي الظاهر يقول: أنا مؤمن، مع أنه في الباطن كافر. أو يقول لك: أنا صديقك، وفي الواقع هو عدوك.
انظر: المصباح [٢/٢٨٥]؛ والقاموس [٣/٢٩٦].

(٥) في «و»: (فإن).

(٦) أي يبعد، وفي «ط»، وبعض النسخ (ليقصر) وهو مصحف.

(٧) أي من شر الشياطين. القاموس [١/١٨٠].

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَخْتَارُ الْفَقْرَ [عَلَى الْغِنَى][1].

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ التَّصَوُّفَ لَهُ خَصْلَتَان: الاسْتِقَامَةُ، وَالسُّكُونُ عَنِ الْخَلْقِ. فَمَنِ اسْتَقَامَ وَأَحْسَنَ خُلُقَهُ بِالنَّاسِ وَعَامَلَهُمْ بِالْحِلْمِ فَهُوَ صُوفِيٌّ.

وَالاسْتِقَامَةُ: أَنْ يَفْدِيَ حَظَّ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ[2].

وحسنُ الخُلُقِ مَعَ النَّاسِ: أَلَّا تَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى مُرَادِ نَفْسِكَ، بَلْ تَحْمِلَ نَفْسَكَ عَلَى مُرَادِهِمْ مَا لَمْ يُخَالِفُوا الشَّرْعَ.

ثُمَّ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي عَنِ الْعُبُودِيَّةِ.

وهِيَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ:

---

(١) لم ترد الزيادة في «و» و«ل».

(٢) هكذا في «س» و«ط» و«ل»، وفي «و»: (... حظ نفسه على أوامر الله تعالى طالباً لرضائه).

وقد بيّن العلماء معنى الاستقامة فقال السيد الشريف: وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس وفي كل أمر ديني ودنيوي. وقال بعضهم: الاستقامة هي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل. وقال أبو علي الدقاق: (للاستقامة مدارج ثلاثة:

أولها: التقويم وهو تأديب النفس.

وثانيها: الإقامة وهي تهذيب القلوب.

وثالثها: الاستقامة وهي تقريب الأسرار).

انظر: التعريفات ص [١٣].

أَحَـدُهَا: مُحَافَظَةُ أَمْرِ الشَّرْعِ.

وَثَانِيهَا: الرِّضَاءُ بِالقَضَاءِ والقَدَرِ وَقِسْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَثَالِثُهَا: تَرْكُ رِضَاءِ نَفْسِكَ فِي طَلَبِ رِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَسَأَلْتَنِي عَنِ التَّوَكُّلِ.

وَهُوَ أَنْ تَسْتَحْكِمَ اعْتِقَادَكَ بِاللَّهِ تَعَالَى فِيمَا وَعَدَ يَعْنِي تَعْتَقِدُ أَنَّ مَا قُدِّرَ لَكَ سَيَصِلُ إِلَيْكَ لاَ مَحَالَةَ، وَإِن اجْتَهَدَ كُلُّ مَنْ فِي العَالَمِ عَلَى صَرْفِهِ عَنْكَ. وَمَا لَمْ يُكْتَبْ لَكَ[1] لَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ، وَإِنْ سَاعَدَكَ جَمِيعُ العَالَمِ[2].

---

(١) لم يرد في «س»: (لك).

(٢) هذا إشارة إلى الحديث الشريف الذي رواه الحاكم في مستدركه والترمذي وأحمد وغيرهم بسندهم، أن ابن عباس رضي الله عنهما ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ: «يا غلام إني معلِّمكَ كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. وإذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعتْ الأقلام وجفت الصحف».

وهذا في الحقيقة قمة التوكل على الله تعالى. وهذا الحديث الشريف يربي المؤمن على قوة الإيمان والتوكل وبالتالي قوة الشخصية التي لا تخاف إلا من الله تعالى، ولا تركع ولا تسجد إلا لمن خلقه. ولذلك قال السلف الصالح: سجدة للرب تغنيكَ عن ألف سجدة لغيره وهذا هو التوكل بعينه وهذا لا يعني الكسل والتواني وعدم العمل؛ فهذا يسمى بالتواكل، وذلك لأن الرسول ﷺ قد أمر الصحابي بأن يشدَّ بعيره ثم يتوكل على الله تعالى فقال: «اعقل ثم توكل». فالتوكل في الإسلام هو ربط القلوب بعلاّم الغيوب والعمل=

وَسَأَلْتَنِي عَنِ الْإِخْلَاصِ .

وَهُوَ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُكَ كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَرْتَاحُ قَلْبُكَ بِمَحَامِدِ النَّاسِ ، وَلَا تُبَالِي[1] بِمَذَمَّتِهِمْ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّيَاءَ[2] يَتَوَلَّد مِنْ تَعْظِيمِ الْخَلْقِ.

وَعِلَاجُهُ أَنْ تَرَاهُمْ مُسَخَّرِينَ تَحْتَ الْقُدْرَةِ[3]، وَتَحْسَبُهُمْ كَالْجَمَادَاتِ فِي عَدَمِ قُدْرَةِ إِيصَالِ الرَّاحَةِ وَالْمَشَقَّةِ لِتَخْلُصَ مِنْ مُرَايَاتِهِمْ، وَمَتَى تَحْسَبُهُمْ ذَوِي قُدْرَةٍ وَإِرَادَةٍ لَنْ يَبْعُدَ عَنْكَ الرِّيَاءُ.

أيها الولد...

وَالبَاقِي[4] مِنْ مَسَائِلِكَ بَعْضُهَا مَسْطُورٌ فِي مُصَنَّفَاتِي، فَاطْلُبْهُ ثَمَّةَ، وَكِتَابَةُ بَعْضِهَا حَرَامٌ. اعْمَلْ أَنْتَ بِمَا تَعْلَمُ؛ لِيَنْكَشِفَ لَكَ مَا

= لسعادتي الدنيا والآخرة بكل ما يستطيع قال تعالى: ﴿وأعدُّوا لهم ما استطعتم﴾ (سورة الأنفال: الآية ٦٠).

انظر: مسند أحمد [١/ ٢٩٣]؛ والمستدرك للحاكم [٥٤١/٣]؛ والترمذي، كتاب القيامة الحديث [٢٥١٦] ط. مصطفى الحلبي؛ والسنن الكبرى [١٨٦/٦]؛ وجمع الجوامع للسيوطي، رقم الحديث [٧١٩]؛ ومجمع الزوائد [١٨٩/٧].

(١) في «ل»: (يأسى). أي لا يغتم.

(٢) هو أن يطلب المنزلة في قلوب الناس ليتقرب إليهم ولينال منهم الجاه أو غيره.

راجع: إحياء علوم الدين [٩٥/٣].

(٣) في «س» و«و»: (للقدرة).

(٤) في «ل»: (والبواقي).

لَمْ تَعْلَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ بِمَا علم ورثه اللَّه عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَم»[1].

أيها الولد...

بَعْدَ الْيَوْمِ لَا تَسْأَلْنِي مَا أُشْكِلَ عَلَيْكَ إِلَّا بِلِسَانِ الجَنَانِ[2]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾[3]. وَاقْبَلْ نَصِيحَةَ الْخَضِر[4] عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ[5]:

---

(١) لم يرد الحديث في «ط» و«ل». والحديث هذا رواه أبو نعيم بسنده عن أنس. راجع كشف الخفا ومزيل الإلباس [٢/٣٦٥].

(٢) أي بلسان القلب والحال.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٥.

(٤) الخضر: بفتح الخاء وكسر الضاد ويجوز إسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها. قال النووي: وهو لقب، واسمه: بليابن ملكان بن قانع بن عابر بن شالخ من نسل سام بن نوح. واختلفوا في سبب تلقيبه بالخضر، فقال الأكثرون: لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء، والفروة وجه الأرض وبهذا ورد الحديث الصحيح، وهو صاحب موسى النبي عليه السلام الذي سأل السبيل إليه. حيث يقول سبحانه: ﴿فوجَدَا عَبداً مِنْ عبادِنَا آتيناهُ رحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وعلَّمنَاهُ من لَدُنَّا عِلماً﴾ (سورة الكهف: الآية ٦٥). والراجح أنه نبي ـ كما قال الشيخ ابن الصلاح الشهرزوري رحمه الله ـ وقال بعض أنه ولي صالح، غير أن ظواهر آيات سورة الكهف تشهد على أنه نبي لأن كل أموره كانت بأمر ووحي من عند الله تعالى حيث يحكي القرآن الكريم كلامه: ﴿ومَا فَعَلْتُهُ عن أَمْري﴾.
انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، مع فتح الباري [١٦٨/١]؛ وتفسير ابن كثير [٥/١٧٠ ـ ١٨٥]؛ وتهذيب الأسماء [١٧٦/١].

(٥) لم يرد في «ل»: (حين قال).

﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾[١] وَلَا تَسْتَعْجِلْ حَتَّى تَبْلُغَ أَوَانَهُ يُكْشَفْ لَكَ، وَتَرَهُ ﴿ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون ﴾[٢]. فَلَا تَسْأَلْنِي قَبْلَ الْوَقْتِ، وَتَيقَّنْ أَنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَّا بِالسَّيْرِ[٣] لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾[٤].

أيها الولد...

بِاللَّهِ إِنْ تَسِرْ تَرَ الْعَجَائِبَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ، وَابْذُلْ رُوحَكَ فَإِنَّ رَأْسَ هَذَا الْأَمْرِ بَذْلُ الرُّوحِ، كَمَا قَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ[٥] رَحِمَهُ اللَّهُ لِأَحَد مِنْ تَلَامِذَتِهِ: (إِنْ قَدَرْتَ عَلَ بَذْلِ الرُّوحِ فَتَعَالَ، وَإِلَّا فَلَا تَشْتَغِلْ بِالتُّرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ)[٦].

---

(١) سورة الكهف: الآية ٧٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٧.

(٣) أي في الرحلات في طلب العلم.

(٤) سورة الروم: الآية ٩.

(٥) هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري، أبو الفياض. أصله من بلاد النوبة في مصر. وهو أحد الزهاد المشهورين بالزهد والفصاحة والحكمة والشعر، وهو أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية. وكان يناجي ربه فيقول: (إلهي لئن مددت يدي إليك داعياً لطالما كفيتني ساهياً، أأقطع منك رجاي بما عملت يداي؟! حسبي من سؤالي علمك بحالي).
انظر: وفيات الأعيان [١/ ١٠١]؛ وتأريخ بغداد [٨/ ٣٩٣].

(٦) أي أن الأساس في التصوف هو المجاهدة وتهذيب النفس وتصفية القلب، بحيث يكون منوراً بنور الله، ويكون كل جوارحه تابعة للشرع الحنيف لا للهوى الشهواني والنفساني. فالتصوف لا يصل الإنسان إليه بالتشبه، ولا بكثرة الكلام عنهم، ولا بالأمور التي لا طائل تحتها ولا بالأباطيل.

إنِّي أَنْصحُكَ بِثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ، اقْبَلْهَا مِنِّي لِئَلَّا يَكُونَ عِلْمُكَ خَصْمَكَ[1] يَوْمَ الْقِيَامَةِ. تَعْمَلُ مِنْهَا أَرْبَعَةً، وَتَدَعُ مِنْهَا أَرْبَعَةً.

أَمَّا اللَّوَاتِي تدعُ:

فَأَحَدُهَا[2]: أَلَّا تُنَاظِرَ أَحَداً فِي مَسْأَلَة مَا اسْتَطَعْتَ لأَنَّ فِيهَا آفَاتٍ كَثِيرَةً. فَإِثْمُهَا[3] أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا، إِذْ هِيَ مَنْبَعُ كُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ، كَالرِّيَاءِ وَالحَسَدِ وَالكِبْرِ وَالحِقْدِ وَالعَدَاوَةِ وَالمُبَاهَاةِ وَغَيْرِهَا. نَعَمْ لَوْ وَقَعَ مَسأَلَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ، وَكَانَتْ إِرَادَتُكَ فِيهَا أَنْ تُظْهِرَ الحَقَّ وَلَا يَضِيعَ[4]، جَازَ البَحْثُ، لَكِنْ لِتِلْكَ الْإِرَادَةِ عَلَامَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: أَلَّا تُفَرِّقَ بَيْنَ أَنْ يَنْكَشِفَ الحَقُّ عَلَى لِسَانِكَ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِكَ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ البَحْثُ فِي الخَلَاءِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَلأِ[5].

---

(١) في «ط» و«ل»: (خصماً عليك).

(٢) في «ط» و«ل»: (أحدها). أي بدون فاء وهذا لا يصح لكونه جواباً لإما.

(٣) في «ل»: (وإثمها). أي إثم المجادلة.

(٤) لم يرد: (ولا يضيع) في «و».

(٥) أي أن لا تكون مناظرتك للمباهاة أو لإظهار علمك، بل تكون لإظهار الحق ولهذا إذا ظهر الحق فلا بد أن تكون معه.

وَاسْمَعْ أَنِّي أَذْكُرُ لَكَ هٰهُنَا فَائِدَةً، وَاعْلَمْ أَنَّ السُّؤَالَ عَنِ المُشْكِلَاتِ عَرَضُ مَرَضِ القَلْبِ إِلَى الطَّبِيبِ، وَالْجَوَابُ لَهُ سَعْيٌ لإِصْلَاحِ مَرَضِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الجَاهِلِين: الْمَرْضَى قُلُوبُهُمْ[1]، وَالعُلَمَاءُ: الأَطِبَّاءُ.

وَالعَالِمُ النَّاقِصُ لَا يُحْسِنُ المُعَالَجَةَ، وَالعَالِمُ الكَامِلُ لَا يُعَالِجُ كُلَّ مَرِيضٍ، بَلْ يُعَالِجُ مَنْ يَرْجُو فِيهِ قَبُولَ المُعَالَجَةِ وَالصَّلاحِ. فَإِذَا[2] كَانَتِ العِلَّةُ مُزْمِنَةً[3] أَو عَقِيماً لَا تَقْبَلُ العِلَاجَ، فَحَذَاقَةُ الطَّبِيبِ[4] فِيهِ أَنْ يَقُولَ: هَذَا لَا يَقْبَلُ العِلَاجَ، فَلَا تَشْغَلْ فِيهِ بِمُدَاوَاتِهِ لِأَنَّ فِيهِ تَضْيِيعَ العُمُرِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ مَرَضَ الجَهْلِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا يَقْبَلُ العِلَاجَ وَالبَاقِي لَا يَقْبَلُ.

أَمَّا الَّذِي لَا يَقْبَلُ:

فَأَحَدُهَا[5]: مَنْ كَانَ سُؤَالُهُ وَاعْتِرَاضُهُ عَنْ حَسَد وَبُغْضٍ[6].

---

(١) لم يرد في «ل»: (قلوبهم). ولفظ (المرضى) خبر لأن.

(٢) في «ط» و«و»: (وإذا).

(٣) أي العلة دائمة. المصباح [١/٢٧٥].

(٤) أي ذكائه ومهارته.

(٥) في «ط» و«ل» و«و»: (أحدها). ولا بد فيه من فاء لكونه جواباً لأما.

(٦) في «ط»: (حسده وبغضه).

فَكُلَّمَا تُجِيبُهُ بِأَحْسَنِ الجَوَابِ وَأَفْصَحِهِ وَأَوْضَحِهِ، فَلاَ يَزِيدُ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بُغْضاً[1] وَعَدَاوَةً وَحَسَداً، فَالطَّرِيقُ أَلَّا تَشْتَغِلَ بِجَوَابِهِ، فَقَدْ قِيلَ:

كُلُّ العداوةِ قد تُرْجى إزالتُها
إِلَّا عَداوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدِ[2]

فَيَنْبَغِي أَنْ تُعْرِضَ عَنْهُ، وَتَتْرُكَهُ مَعَ مَرَضِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[3].

وَالحَسُودُ بِكُلِّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ يُوقِدُ النَّارَ فِي زَرْعِ عِلْمِهِ: «الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»[4].

وَالثَّانِي: أَنْ تَكُونَ عِلَّتُهُ مِنَ الحَمَاقَةِ[5]، وَهُوَ أَيْضاً لاَ يَقْبَلُ العِلَاجَ كَمَا قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: (إِنِّي مَا عَجَزْتُ عَنْ إِحْيَاءِ المَوْتَى، وَقَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُعَالَجَةِ الأَحْمَقِ).

---

(١) في «ل» و«س»: (غيظاً)، مكان: (بغضاً) والمؤدى واحد.

(٢) لم يرد في «و» و«س»، وفي «ل» مكانه: (شعر).

(٣) سورة النجم: الآية ٢٩.

(٤) هذا جزء من حديث رواه أبو داود وابن ماجه وسكت عنه أبو داود والمنذري. وتتمة الحديث عند ابن ماجه: «... والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، والصلاة نور المؤمن والصيام جُنة من النار».
انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، مع عون المعبود [٢٤٥/١٣] وابن ماجه، كتاب الزهد [١٤٠٨/٢].

(٥) أي من قلة العقل.

وَذَلِكَ رَجُلٌ يَشْتَغِلُ بِطَلَبِ العِلْمِ زَمناً قَليلاً، وَيَتَعَلَّمُ شَيْئاً قَليلاً[1] مِنَ عُلُومِ العَقْلِ وَالشَّرْعِ[2]، فَيَسْأَلُ وَيَعْتَرِضُ مِن حَمَاقَتِهِ عَلَى العالم الكَبِيرِ، الَّذي أَمْضَى عُمْرَهُ[3] فِي العُلُومِ: العَقْلِيِّ وَالشَّرْعِيِّ. وَهَذَا الأَحْمَقُ لاَ يَعْلَمُ، وَيَظُنُّ أَنَّ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ هُوَ أَيْضاً مُشْكِلٌ لِلعَالِمِ الكَبِيرِ. فَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ[4] هَذَا القَدْرَ يَكُونُ سُؤَالُهُ مِنْ الحَمَاقَةِ، فَيَنْبَغِي أَلَّا يَشْتَغِلَ بِجَوَابِهِ.

والثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مُسْتَرْشِداً، وَكُلُّ مَا لاَ يُفْهَمُ مِنْ كَلاَمِ الأَكَابِرِ يُحْمَلُ عَلَى قُصُورِ فَهمِهِ، وَكَانَ[5] سُؤَالُهُ لِلاسْتِفَادَةِ، لَكِنْ لِكَونِهِ[6] بَلِيداً لاَ يُدْرِكُ الحَقَائِقَ، فَلاَ يَنْبَغِي الاشْتِغَالُ[7] بِجَوابِهِ أَيْضاً، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ»[8].

---

(١) لم يرد: (قليلاً) في «ط».

(٢) في «و» و«د» و«ط»: (من العلوم العقلي والشرعي).

(٣) في «و» و«ل» و«س»: (على الكبير الممضي عمره في العلم العقلي والشرعي).

(٤) في «و» و«ل»: (يتفكر).

(٥) في «ل»: (فكان).

(٦) في «ط»: (يكون).

(٧) في «و»: (أن يشتغل). والمؤدّى واحد.

(٨) حديث: «إنا معشر...»، قال الحافظ السخاوي: رواه أبو الحسن التميمي من الحنابلة بسنده عن ابن عباس مرفوعاً، وله شاهد من حديث مالك عن سعيد بن المسيب رفعه مرسلاً. =

وَأَمَّا المرَضُ الَّذي يَقْبَلُ العِلاَجَ، فَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَرْشِداً عَاقِلاً فَهِماً لاَ يَكُونُ مَغْلُوبَ الْحَسَدِ وَالْغَضَبِ وَحُبِّ الشَّهْوَةِ[1]، وَالجَاهِ وَالمَالِ. وَيكُونَ طَالِبَ طَرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ[2] سُؤَالُهُ وَاعْتِرَاضُهُ عَنْ حَسَدٍ وَتَعَنُّتٍ وَامْتِحَانٍ، وَهَذَا يَقْبَلُ العِلاَجَ، فَيَجُوزُ أَنْ تَشْتَغِلَ بِجَوَابِ سُؤَالِهِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْكَ إِجَابَتُهُ.

والثَّاني مِمَّا تَدَعُ: وَهُوَ أَنْ تَحْذَرَ وَتَحْتَرِزَ[3] مِنْ أَنْ تَكُونَ وَاعِظاً وَمُذَكِّراً؛ لِأَنَّ آفَتَه كثيرةٌ[4] إِلَّا أَنْ تَعْمَلَ بِمَا تَقُولُ أَوَّلاً، ثُمَّ تَعِظَ بِهِ النَّاسَ. فَتَفَكَّرْ فِيمَا قِيلَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: (يَا ابْنَ مَرْيَمَ عِظْ نَفْسَكَ، فَإِنِ اتَّعَظَتْ فَعِظِ النَّاسَ، وَإِلَّا فَاسْتَحِ مِن رَبِّكَ)[5].

وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِهَذَا الْعَمَلِ فَاحْتَرِزْ عَنْ خَصْلَتَيْنِ:

= هذا وقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله».
انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم [١/٢٢٥]؛ والمقاصد الحسنة ص [٩٣].

(١) في «و»: (الشهرة).

(٢) في «ل»: (ولا يكون).

(٣) في «ل» فقط: (أن لا تحذر ولا تحترز). وأظن أنه لا يستقيم عليه المعنى. وعلى ما أثبتناه معناه: أي أن تكون حذراً، أي تكون شديد الحذر واليقظة من وعظ بلا اتعاظ. وأن تكون محترزاً، أي مبتعداً عن نصيحة لا تفيد أنت منها أولاً.

(٤) في «ط»: (فيه آفة كبيرة).

(٥) في «ط»: (فاستح ربك).

الأُولَى: عَنِ التَّكَلُّفِ فِي الْكَلاَمِ بِالْعِبَارَاتِ وَالإِشَارَاتِ وَالطَّامَّاتِ وَالأَبْيَاتِ وَالأَشْعَارِ؛ لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبْغِضُ الْمُتَكَلِّفِينَ[1]. وَالْمُتَكَلِّفُ[2] الْمُتَجَاوِزُ عَنِ الْحَدِّ، يَدُلُّ عَلَى خَرَابِ البَاطِنِ وَغَفْلَةِ الْقَلْبِ.

وَمَعْنَى التَّذْكِيرِ: أَنْ يَذْكُرَ العَبْدُ نَارَ الآخِرَةِ، وَتَقْصِيرَ نَفْسِهِ فِي خِدْمَةِ الْخَالِقِ، وَيتفَكَّرَ فِي عُمُرِهِ المَاضِي الَّذِي أَفْنَاهُ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ. وَيَتَفَكَّرَ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْعَقَبَاتِ مِنْ عَدَمِ سَلاَمَةِ[3] الإِيْمَانِ فِي الخَاتِمَةِ، وَكَيْفِيَّةِ حَالِهِ فِي قَبْضِ مَلَكِ المَوْتِ، وَهَلْ يَقْدِرُ عَلَى جَوَابِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ[4]؟ وَيَهْتَمَّ بِحَالِهِ فِي القِيَامَةِ وَمَوَاقِفِهَا، وَهَلْ يَعْبُرُ عَنِ الصِّرَاطِ[5] سَالِماً أَمْ يَقَعُ فِي الْهَاوِيَةِ؟

---

(١) فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن أنس قال: كنا عند عمر فقال: «نهينا عن التكلف». ورواه أحمد أن سلمان الفارسي رضي الله عنه دخل عليه رجل فدعا له بما كان عنده فقال: «لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك».

انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، مع فتح الباري [١٣/٢٦٤]؛ ومسند أحمد [٥/٤٤١].

(٢) في «س» و«ل»: (والتكلف).

(٣) في «و» و«ل»: (من سلامة . . .).

(٤) هما الملكان اللذان يسألان الميت عندما يوضع في قبره. انظر تفصيل ذلك في إحياء علوم الدين [٤/٤٨٣].

(٥) الصراط هو الجسر الممدود على متن جهنم.

انظر: إحياء علوم الدين [٤/٥٠٧]؛ والقاموس المحيط [٢/٢٨٤].

وَيَسْتَمِرُّ ذِكْرُ هَذِهِ الأَشْيَاءِ فِي قَلْبِهِ، فَيُزْعِجُهُ عَنْ قَرارِهِ. فَغَلَيَانُ هَذِهِ النِّيرَانِ، وَنَوْحَةُ(١) هَذِهِ المصَائِبِ يُسَمَّى تَذْكِيراً. وَإِعْلامُ الْخَلْقِ واطِّلاَعُهُمْ عَلَى هَذِهِ الأَشْيَاءِ، وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى تَقْصِيرِهِمْ وَتَفْرِيطِهِمْ، وَتَبْصِيرُهُم بِعُيُوبِ أَنْفُسِهِمْ لِتَمَسَّ حَرَارَةُ هَذِهِ النِّيرَانِ أَهْلَ المجلِسِ، وَتُجْزِعَهُمْ تِلْكَ المصَائِبُ لِيَتَدارَكُوا العُمُرَ الماضِي بِقَدْرِ الطَّاقَةِ، وَيَتَحَسَّرُوا عَلَى الأَيّامِ الْخَالِيَةِ(٢) فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعالَى هَذِهِ الجُمْلَةُ عَلَى هَذَا(٣) الطَّرِيقِ تُسَمَّى وَعْظاً. كَمَا لَوْ رَأَيْتَ أَنَّ السَّيْلَ قَدْ هَجَمَ عَلَى دَارِ أَحَدٍ، وَكَانَ هُوَ وَأَهْلُهُ فِيهَا فَتَقُولُ: الحَذَرَ الحَذَرَ فِرُّوا مِن السَّيْلِ. وَهَلْ يَشْتَهِي قَلْبُكَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَنْ تُخْبِرَ صَاحِبَ الدَّارِ خَبَرَكَ بِتَكَلُّفِ العِبَارَاتِ، وَالنُّكَتِ وَالإِشَارَاتِ؟ فَلاَ يَشْتَهِي الْبَتَّةَ؛ فَكَذَلِكَ حَالُ الْوَاعِظِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَنِبَهَا(٤).

الْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ: أَلَا تَكُونَ هِمَّتُكَ فِي وَعْظِكَ أَنْ يَنْفِرَ الخَلْقُ فِي مَجْلِسِكَ وَيُظْهِرُوا الْوَجْدَ(٥)، وَيَشُقُّوا الثِّيَابَ؛ لِيُقَالَ: نِعْمَ

---

(١) في «و»: (وتوجه).

(٢) في «و»: (الأيام الماضية). والمعنى واحد.

(٣) في «و»: (هذه). وهو جائز، لأن الطريق جاء مذكراً ومؤنثاً.
انظر: المصباح [٢/١٨].

(٤) في «ل»: (يجتنب عنها).

(٥) أي يظهروا الحب واللهفة والصياح. والوجد في اصطلاح الصوفية: ما يصادف القلب من الأحوال المفنية عن شهوده، وقيل: هو بروق تلمع ثم تخمد سريعاً.
=

المَجْلِسُ هَذا؛ لِأَنَّ كُلَّهُ مَيْلٌ لِلدُّنْيَا [والرياءِ][1]، وَهُوَ يَتَوَلَّدُ مِنَ الْغَفْلَةِ. بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَزْمُكَ وَهِمَّتُكَ أَنْ تَدْعُوَ النَّاسَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ، وَمِنَ المَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَمِنَ الحِرْصِ إِلَى الزُّهْدِ، وَمِنَ البُخْلِ إِلَى السَّخَاءِ، وَمِنَ الغُرُورِ إِلَى التَّقْوَى. وَتُحَبِّبَ إِلَيْهِمُ الآخِرَةَ، وَتُبَغِّض إِلَيْهِمُ الدُّنْيَا، وَتُعَلِّمَهُمْ عِلْمَ العِبَادَةِ وَالزُّهْدِ؛ لِأَنَّ الغَالِبَ عَلَى[2] طِبَاعِهِمُ الزَّيْغُ[3] عَنْ نَهْجِ الشَّرْعِ، وَالسَّعْيُ فِيمَا لَا يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، والاشتغالُ[4] بِالأَخْلَاقِ الرَّدِيَّةِ. فَأَلْقِ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَرَوِّعْهُمْ[5] وَحَذِّرْهُمْ عَمَّا يَسْتَقْبِلُونَ مِنَ المَخَاوِفِ؛ لَعَلَّ[6] صِفَاتِ بَاطِنِهِمْ تَتَغَيَّرُ، وَمُعَامَلَةَ ظَاهِرِهِمْ تَتَبَدَّلُ، ويُظْهِروا[7] الْحِرْصَ، وَالرَّغْبَةَ فِي الطَّاعَةِ وَالرُّجُوعَ عَنِ المَعْصِيَةِ، وَهَذَا طَرِيقُ الْوَعْظِ وَالنَّصِيحَةِ. وَكُلُّ وَعْظٍ[8] لَا يَكُون هَكَذَا فَهُوَ وَبَالٌ[9] عَلَى مَنْ قَالَ وَيَسْمَعُ، بَل قِيلَ: إِنَّهُ غُولٌ

= انظر: اصطلاحات الصوفية المطبوعة مع التعريفات ص [١٣٨]؛ والتعريفات للسيد ص [١٣٠].

(١) الزيادة من «و».

(٢) في «و»: (في).

(٣) أي الخروج والميل عن الشرع إلى هوى النفس. المصباح [١/ ٢٨٠].

(٤) في «ط»: (والاستعثار). ولا يتناسب من حيث المعنى.

(٥) أي خوّفهم وأنذرهم.

(٦) في «ط»: (ولعل) بالواو، والأصح ما أثبتناه لأنه علة لما سبق.

(٧) في «ط»: (يتظهروا).

(٨) في «و»: (واعظ). ولا يتناسب مع السياق واللحاق.

(٩) أي عقوبة وعذاب.

وَشَيْطَانٌ، يَذْهَبُ بِالْخَلْقِ عَنِ الطَّرِيقِ وَيُهْلِكُهُمْ، فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفِرُّوا مِنْهُ. لِأَنَّ مَا يُفسِدُ هَذَا الْقَائِلَ مِنْ دِينِهِمْ، لَا يَسْتَطِيعُ بِمِثْلِهِ الشَّيْطَانُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ يَدٌ وَقُدْرَةٌ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُنْزِلَهُ عَنْ مَنَابِرِ المسلمين[1] وَيَمْنَعَهُ عَمَّا بَاشَرَه[2]؛ فَإِنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المنْكَرِ.

وَالثالِثُ مِمَّا تَدَعُ: أَنَّهُ لَا تُخَالِطِ الْأُمَرَاءَ وَالسَّلَاطِين وَلَا تَرَهُمْ لِأَنَّ رُؤْيَتَهِمْ وَمُجَالَسَتَهُمْ وَمُخَالَطَتَهُمْ آفةٌ عَظِيمَةٌ. وَلَو ابْتُلِيتَ بِهَا دَعْ عَنْكَ مَدْحَهُمْ وَثَنَاءَهُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْضَبُ إِذا مُدِحَ الفَاسِقُ وَالظَّالِمُ، وَمَنْ دَعَا لِطُولِ بَقَائِهِمْ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللَّهُ فِي أَرْضِهِ.

والرَّابعُ مِمَّا تَدَعُ: أَلَّا تَقْبَل شَيْئاً مِنْ عَطاءِ الأُمَرَاءِ وَهَدَايَاهُمْ وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهَا مِنَ الحَلَالِ. لِأَنَّ الطَّمَعَ مِنْهُمْ يُفْسِدُ الدِّينَ؛ لِأَنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْهُ المُدَاهَنَةُ[3]، وَمُرَاعَاةُ جَانِبِهِمْ وَالـمُوَافَقَةُ فِي ظُلْمِهِمْ، وَهَذَا كُلُّهُ فَسَادٌ فِي الدِّين. وَأَقَلُّ مَضَرَّتِهِ أَنَّكَ إِذَا قَبِلْتَ عَطَايَاهُمْ، وَانْتَفَعْتَ مِنْ دُنْيَاهُمْ أَحْبَبْتَهُمْ. وَمَنْ أَحَبَّ أَحَداً يُحِبُّ طُولَ عُمْرِهِ، وَبَقَاءَهُ بِالضَّرُورَةِ، وَفِي مَحَبَّةِ بَقَاءِ الظَّالِمِ إِرَادَةٌ فِي الظُّلْمِ عَلَى

---

(١) في «ط»: (الوعظ).

(٢) في «ط»: (باشر).

(٣) أي المصالحة معهم والميل إلى جانبهم، وأصله من «الدهن». المصباح [١/ ٢١٧].

عِبادِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِرَادَةُ خَرابِ الْعَالَمِ، فَأَيّ شَيْءٍ يَكُونُ أَضَرَّ مِنْ هَـذَا عَلَى الدِّينِ وَالعَـاقِبَةِ. وإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تخـدعَ باستهـواءِ[1] الشَّيَاطِينِ أَوْ قَوْلِ بَعْضِ النَّاسِ لَكَ: بِأَنَّ الأَفْضَلَ وَالأَوْلَى أَنْ تَأْخُذَ منهم الدِّينَار وَالدِّرْهَمَ، وَتُفَرِّقَها بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْـمَسَـاكِينِ؛ فَإِنَّهُم يُنفِقُونَ فِي الْفِسْقِ وَالْـمَعْصِيَةِ، وَإِنْفَاقُكَ عَلَى ضُعَفَاءِ النَّاسِ خَيْرٌ مِنْ إِنْفَاقِهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّعِينَ[2] قَدْ قَطَعَ أَعْنَاقَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِهَذِهِ الوَسْوَسَةِ وَآفته كثيرة[3] ذكرناها في «إِحْيَاءِ العُلُومِ» فَاطْلُبْهُ ثَمَّ[4].

وَأَمَّا الأَرْبَعَةُ الَّتِي يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَهَا:

الأَوَّلُ: أَنْ تَجْعَلَ مُعَامَلَتَكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، بِحَيْثُ لَوْ عَامَلَ مَعَكَ[5] بِهَا عَبْدُكَ تَرْضَى بِهَا مِنْهُ، وَلَا يَضِيقُ خَاطِرُكَ عَلَيْهِ وَلَا تَغْضَبُ. والَّذِي[6] لَا تَرْضَى بِهِ لِنَفْسِكَ مِنْ عَبْدِكَ الْـمَجَازِيِّ فَلَا تَرْضَى أَيْضاً لِلَّهِ تَعَالَى وَهُوَ سَيِّدُكَ الحَقِيقِيُّ.

والثاني: كلما عَمِلت بالناس اجعله كما ترضى لِنَفْسِـكَ

---

(١) في «ط»: (أن يخدعك استهواء).
(٢) أي الشيطان الرجيم البعيد عن رحمة الله.
(٣) في «ط» لم ترد: (وآفته كثيرة).
(٤) انظر إحياء علوم الدين، ط. عيسى البابي الحلبي [٣/٢٦٨].
(٥) لم يرد: (معك) في «ل» و«س».
(٦) في «ل»: (فإن الذي).

مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ عَبْد حَتَّى يُحِبَّ لِسَائِرِ النَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ[1].

والثالثُ: إِذَا قَرَأْتَ الْعِلْمَ أَوْ طَالَعْتَهُ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِلْمُكَ [علماً][2] يُصْلِحُ قَلْبَك وَيُزَكِّي نَفْسَكَ. كَمَا لَوْ عَلِمْتَ أَنَّ عُمُرَكَ مَا يَبْقَى غَيْرَ أُسْبُوعٍ، فَبِالضَّرُورَةِ لَا تَشْتَغِلُ فِيهَا بِعِلْمِ الفِقْه والخلاف[3] والأُصُولِ وَالكَلَامِ وَأَمْثَالِهَا؛ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ العُلُومَ لَا تُغْنِيكَ، بَلْ تَشْتَغِلُ بِمُرَاقَبَةِ القَلْبِ، وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِ النَّفْسِ، وَالإِعْرَاضِ عَنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا. وَتُزَكِّي نَفْسَكَ عَنِ الأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ وَتَشْتَغِلُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِبَادَتِهِ، وَالاتِّصَافِ

---

(١) روى البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والترمذي، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». كما روى الشيخان أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».
انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، مع فتح الباري [١/٥٦، ٦٠]؛ ومسلم، كتاب الإيمان [١/٦٦ - ٦٧]؛ ومسند أحمد [٣/١٠٣]؛ والترمذي، كتاب الإيمان، مع تحفة الأحوذي [٧/٣٧٣].

(٢) الزيادة من «و» و«ل».

(٣) هكذا في جميع النسخ المتوفرة لدي. وفي «ط»: (الأخلاق). وهو خطأ شنيع؛ لأن علم الأخلاق مطلوب الاشتغال به.
وعلم الأخلاق هو العلم الذي يبحث عن أنواع الفضائل وتهذيب النفس فهذا هو المطلوب في كل الأحوال. وأما علم الخلاف فهو يبحث عن الجدل في الأدلة فهذا لا يكون مطلوباً عند الاستعداد للموت.
انظر: تعريفات العلوم للبيضاوي ورقة [٣].

بِالأَوْصَافِ الْحَسَنَةِ. وَلاَ يَمُرُّ عَلَى عَبْدٍ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِلاَّ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَوْتُهُ فِيهِ.

أيها الولد...

اسْمَعْ مِنِّي كَلاَماً آخَرَ[1]، وَتَفَكَّرْ فِيهِ حَتَّى تَجِدَ فِيهِ خَلاَصاً. لَوْ أَنَّكَ أُخْبِرْتَ أَنَّ السُّلْطَانَ بَعْدَ أُسْبُوعٍ يجيئك زائراً[2]، أَعْلَمُ أَنَّكَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ لاَ تَشْتَغِلُ إِلاَّ بِإِصْلاَحِ مَا عَلِمْتَ أَنَّ نَظَرَ السُّلْطَانِ سَيَقَعُ عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ وَالْبَدَنِ، وَالدَّارِ وَالْفُرُشِ وَغَيْرِهَا.

وَالآنَ تَفَكَّرْ إِلَى مَا أَشَرْتُ بِهِ فَإِنَّكَ فَهِمٌ، وَالْكَلاَمُ الْفَرْدُ يَكْفِي الْكَيِّسَ[3]. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلاَ إِلَى أَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ»[4].

---

(١) في «ل»: (أوجز).

(٢) هكذا في كل النسخ المتوفرة لدي. وفي «ط»: (يختارك وزيراً). والأول هو الأصح بقرينة السياق.

(٣) في «ط»: (أليس؟). وهو خطأ.

(٤) الحديث صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه في سننه بسندهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

انظر: صحيح مسلم، كتاب البر [١٩٨٧/٤]؛ ومسند أحمد [٢٨٥/٢، ٥٣٩]؛ وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد [١٣٨٨/٢].

وَإِنْ أَرَدْتَ عِلْمَ أَحْوَالِ القَلْبِ فَانْظُرْ إِلَى «الإِحْيَاء»[1] وَغَيْرِهِ مِنْ مُصَنَّفَاتِي وَهَذَا العِلْمُ فَرْضُ عَيْنٍ، وَغَيْرُهُ فَرْضُ كِفَايَة[2] إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا يؤدَّى بِهِ فَرَائِضُ اللَّهِ تَعَالَى، واللَّهُ[3] يُوَفِّقُكَ حَتَّى تُحَصِّلَهُ.

وَالرَّابِعُ: أَلَا تَجْمَعَ مِنَ الدُّنْيَا أَكْثَرَ مِنْ كِفَايَةِ سَنَةٍ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يُعِدُّ ذَلِكَ لِبَعْضِ حُجُرَاتِهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُوتَ آل مُحَمَّد كَفَافاً». وَلَمْ يَكُنْ يُعِدُّ ذَلِكَ لِكُلِّ حُجُرَاتِهِ بَلْ كَانَ يُعِدُّهُ لِمَنْ عَلِمَ أَنَّ فِي قَلْبِهَا ضَعْفاً، وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ صَاحِبَةَ يَقِين فَمَا كَانَ يُعِدُّ لَهَا أَكْثَرَ مِنْ قُوتِ يَوْمٍ وَنِصْف[4].

---

(١) انظر الجزء الثالث من الإحياء، ط. عيسى الحلبي، فتجد فيه تفصيلاً شافياً حوله.

(٢) فرض العين: هو ما تعين أداؤه على كل واحد مكلف. وفرض الكفاية: هو ما لو قام به البعض سقط وجوبه عن الباقين.
انظر: تفصيل العلوم التي هي فرض عين، والعلوم التي هي فرض كفاية في إحياء علوم الدين [١٧/١].

(٣) في «ل» و «د» و «س»: (وهو).

(٤) روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»؛ أي بقدر ما يكفيهم من غير زيادة ولا إسراف. وفي رواية أخرى صحيحة عند مسلم بلفظ: «. . . كفافاً». ورويا أيضاً بسندهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بُرّ حتى مضى لسبيله» هذا لفظ مسلم. وعند البخاري ومسلم: «ما شبع =

أيها الولد...

إِنِّي كَتَبْتُ فِي هَذَا الفَصْلِ مُلْتَمَسَاتِكَ، فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهَا وَلَا تَنْسَانِي فِيهِ مِنْ[1] أَنْ تَذْكُرَنِي فِي صَالِحِ دُعَائِكَ.

وَأَمَّا الدُّعَاءُ الَّذِي سَأَلْتَ مِنِّي فَاطْلُبْهُ مِنْ دَعَوَاتِ

= آل محمد...». وروى البخاري ومسلم أن عائشة رضي الله عنها قالت: «... إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلّة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار. فقال عروة: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء». وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لقد توفي النبي ﷺ وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال عليّ ففني».

وروى البخاري ومسلم بسندهما عن عمر رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان يحبس لأهله قوت سنتهم». وهذا بعدما أفاء الله على رسوله من أهل القرى كما رويا كذلك: أنه ﷺ كان يقسم أموال بني النضير لكنه كان ينفق على أهله منه قوت سنة ثم يجعل ما بقي منه مجعل مال الله تعالى.

فعلى هذا فالأحاديث الصحيحة تدل على عدم التفرقة بين أزواج النبي ﷺ فكنَّ جميعاً قد تشاركن في عدم إيقاد النار في بيوتهن شهرين أو ثلاثة. كما شاركن عامة الشعب في تحمّل الفقر والضنك فكانت بيوتات النبي ﷺ كبيوت الصحابة بل أكثر تحملاً. ثم لما أفاء الله على رسوله من الأموال ووزعها على أصحابه بما يكفيهم وزيادة ترك لأهله كفاية سنة.

انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب النفقات [٩/٥٠١]، وكتاب الرقاق [١١/٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨١ - ٢٨٣]؛ وصحيح مسلم، كتاب الجهاد [٣/١٣٧٨ - ١٣٧٩]، وكتاب الزهد [٤/٢٢٨١ - ٢٢٨٥]؛ وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد [٢/١٣٨٧]؛ ومسند أحمد [١/٢٥، ٢/٢٣٢].

(١) في «ل» لم يرد: (من).

الصِّحَاحِ [1]. وَاقْرَأْ هَذَا الدُّعَاءَ فِي أَوقَاتِكَ، خُصُوصاً فِي أَعْقَابِ صَلَوَاتِكَ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ النِّعْمَةِ تَمَامَهَا، وَمِنَ العِصْمَةِ دَوَامَهَا، وَمِنَ الرَّحْمَةِ شُمُولَهَا، وَمِنَ العَافِيَةِ حُصُولَهَا، وَمِنَ الْعَيْشِ أَرْغَدَهُ، وَمِنَ العُمُرِ أَسْعَدَهُ، وَمِنَ الإِحْسَانِ أَتَمَّهُ، وَمِنَ الإِنْعَامِ أَعَمَّهُ، وَمِنَ الفَضْلِ أَعْذَبَـهُ، وَمِنَ اللُّطْفِ أَقْرَبَهُ.

اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالسَّعَادَةِ آجَالَنَا، وَحَقِّقْ بِالزِّيَادَةِ آمَالَنَا، وَاقْرِنْ بِالعَافِيَةِ غُدُوَّنَا وَآصَالَنَا، وَاجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَمَآلَنَا، وَاصْبُبْ سِجَالَ عَفْوِكَ عَلَى ذُنُوبِنَا، وَمُنَّ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ عُيُوبِنَا، وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا، وَفِي دِينِكَ اجْتِهَادَنَا، وَعَلَيْكَ تَوَكُّلُنَا وَاعْتِمَادُنَا.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الاسْتِقَامَةِ، وَأَعِـذْنَا فِي الـدُّنْيَا مِنْ

---

(١) أي كتب السنة المشرفة الصحيحة كصحيحي البخاري ومسلم، وابن خزيمة وابن حبان. أو المقصود اطلب هذه الدعوات من الأحاديث الصحيحية في أي كتاب كان من كتب السنة المشرفة. وهذه دعوة مباركة من الإمام الغزالي بأن طالب العلم لا بد أن يأخذ دعواته وعلمه المتعلق بالشريعة من السنة الصحيحة، ولا يلتفت إلى الأحاديث المنكرة أو الموضوعة. ولا غرو في ذلك فقد ذكر المترجمون للغزالي بأنه عكف في آخر عمره على دراسة الحديث على بعض الشيوخ الحفاظ.
انظر: طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي [٦/ ٢١٠]. وراجع كتاب «الأذكار» للإمام النووي رحمه الله فتجد فيه أغلب الدعوات المأثورة.

مُوجِبَاتِ النَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقْلَ الأَوْزَارِ، وَارْزُقْنَا عِيشَةَ الأَبْرَارِ، وَاكْفِنَا وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الأَشْرَارِ[1]، وَاعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَمَشَايِخنَا[2] مِنَ النَّارِ، بِرَحْمَتِكَ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ، يَا كَرِيمُ يَا سَتَّارُ، يَا حَلِيمُ[3] يَا جَبَّارُ، يَا اللَّهُ... يَا اللَّهُ... يَا اللَّهُ... يَا اللَّهُ... يَا رَحِيم[4]... يَا رَحِيم يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَيَا أَوَّلَ الأَوَّلِينَ، وَيَا آخِرَ الآخِرِينَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ المتِينُ، وَيَا رَاحِمَ المسَاكِين، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

* * *

---

(١) في «ط»: (واكفنا شر...).

(٢) في «ط»: (وإخواننا)، بدل (ومشايخنا).

(٣) في «ط»: (عليم). والمناسب ما أثبتناه من النسخ الخطية.

(٤) في «ط»: (برحمتك).



فهرس الموضوعات

الفصل الثالث

مقدمة رسالة الغزّالي إلى تلميذه

وقد آثرنا أن نكتفي بذكر المصادر والمراجع بالهامش مع ذكر مكان طبعها وتاريخه دون أن نخصص فهرساً خاصاً بها، وكذلك الأمر في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والله الموفق.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

* * *



للإمام العمدة الفاضل بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

المتوفى سنة ٧٩٤ هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

علي محيي الدين علي القره داغي

بحوث في الاقتصاد الإسلامي

تأليف

الدكتور علي محيي الدين علي القره داغي

أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول بكلية الشريعة والقانون - جامعة قطر

وخبير الفقه والاقتصاد الإسلامي بمجمع الفقه الإسلامي - بمكة المكرمة - وجدة

وعضو المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث

دار البشائر الإسلامية